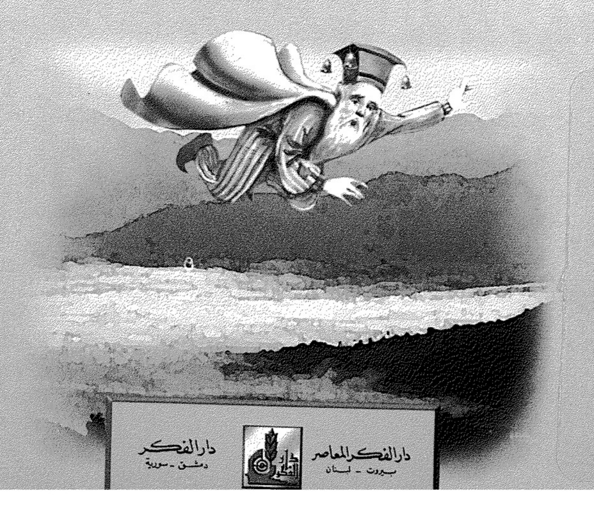
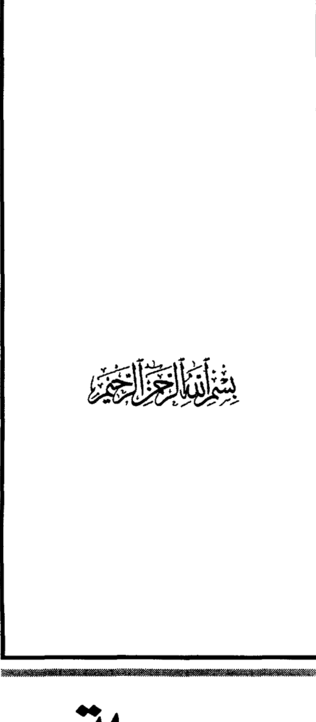
عبدو محمد

رحلة ملك الأحلام



دار الفكر المعاصر
بيروت - لبنان

دار الفكر
دمشق - سورية

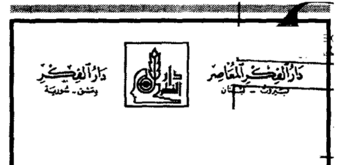


رحلة ملك الأحلام

رحلة ملك الأحلام / عبدو محمد. - دمشق:
دار الفكر، ١٩٩٩. -١٠٤ص؛ ٢٤ سم.
١-٨١٣,٠١ ط م ح م ر ٢- العنوان ٣- محمد
مكتبة الأسد
ع- ١١١٠/ ٧/ ١٩٩٩

عبدو محمد

رحلة ملك الأحلام



الرقم الاصطلاحي : ١٢٦٠
الرقم الدولي : ISBN: 1-57547-677-0
الرقم الموضوعي: ٨٥٠
الموضوع: القصة والرواية
العنوان: رحلة ملك الأحلام
التأليف: عبدو محمد
الصف التصويري: دار الفكر - دمشق
التنفيذ الطباعي: المطبعة العلمية - دمشق
عدد الصفحات: ١٠٤ ص
قياس الصفحة: ١٤ × ٢٠ سم
عدد النسخ: ١٥٠٠ نسخة

دار الفكر بدمشق
برامكة مقابل مركز الانطلاق الموحد
ص.ب: (٩٦٢) دمشق - سورية
برقياً: فكر
فاكس ٢٢٣٩٧١٦
هاتف ٢٢٣٩٧١٧، ٢٢١١١٦٦
http://www.fikr.com/
E-mail: info @fikr.com

الطبعة الأولى

١٤٢٠هـ = ١٩٩٩م

القِصَص

رحْلَةُ مَلِكِ الأحْلامِ

وقفَ ملكُ الأحلامِ في شرفةِ قصرهِ يرقبُ الداخلينَ إلى مملكتهِ والخارجينَ منها، كانَ يبحثُ بعينيهِ عن طفلٍ شاهده مرّاتٍ كثيرةً، ولاحظَ سرعةَ مجيئه وسرعةَ عودتهِ، كانَ يدخلُ المملكةَ مسرعاً متلهفاً، ويخرجُ منها بعدَ قليلٍ مسرعاً أيضاً.

انتظرَ الملكُ حتى جاءَ، رآهُ مقبلاً مِن بعيدٍ فاستدعاهُ إليهِ، كانَ يريدُ معرفةَ سرّهِ، لمْ يرسلْ رجالَ الشرطةِ لإحضارهِ، ففي مملكةِ الأحلامِ لا تتمُّ الأمورُ كما في مملكةِ البشرِ، كلُّ ما يفعلهُ الملكُ هناكَ إذا أرادَ استدعاءَ أحدٍ هو أنْ ينظرَ إليه بحنان، ويتبسّمُ له بمحبّةٍ، فيأتيه المطلوبُ طائعاً مختاراً، تسبقهُ فرحتُهُ بمقابلةِ الملكِ الباسمِ الجميلِ.

وهكذا فعلَ الملكُ معَ الطفلِ القادمِ إلى مملكتهِ، نظرَ إليه بحنان، وابتسمَ له ابتسامةً عريضةً، فما كانَ منَ الصغيرِ إلاّ أنْ سارَ نحوه، وحينَ وصلَ إليه

ألقى بنفسهِ في أحضانِهِ واضعاً رأسَهُ على صدرِه، تماماً مثلما يفعلُ الأطفالُ المتعَبُونَ حينَ يلقونَ بأنفسهم في أحضانِ آبائهم ليشعروا بالدفءِ والحنانِ والراحةِ.

مسَحَ الملكُ على رأسِ الصغيرِ بحنان، مسّدَ له شعرَهُ بمحبّةٍ، ثمّ وضَعَه على الأرضِ وسأله: أراكَ تكثِرُ الزياراتِ لمملكتي، ولكنّكَ لا تطيلُ البقاءَ فيها، تأتي سريعاً وتعودُ سريعاً، ألا تعلمُ أنَّ جمالَ مملكتي يريحُ النفسَ ويزيلُ التعبَ.

قالَ الصغيرُ متحسّراً: أعلمُ ذلكَ أيّها المليكُ الجميلُ ولذلكَ أعودُ إليها كلّما استطعتُ، لقدْ رأيتُ جمالَها يومَ كانتْ جدّتي تصحبُني إليها، ولكنَّ جدّتي مريضةٌ الآنَ ولا تستطيعُ مرافقتي.

قالَ الملكُ: فلْترافقْكَ أمُّكَ.

قالَ الصغيرُ بأسىً: كانَ اللهُ في عونِ أمّي، هيَ تعملُ كثيراً، ما تكادُ تنْهي عملَها حتى يغلبُها التعبُ فتنامَ، أمّي مُتْعبَةٌ يا ملكَ الأحلامِ، ولذلكَ فهيَ ترسلني إلى الفِرَاشِ كلّما طلبتُ منها أنْ تصحبَني إلى مملكتِكَ.

قالَ الملكُ: فلْيرافقْكَ والدُكَ إذن.

قالَ الصغيرُ بحسرةٍ: أبي، هو الآخرُ يعملُ كثيراً، أكادُ لا أراهُ إلاّ أيامَ العُطَلِ، هو يعملُ في مكانينِ مختلفينِ، صباحاً في مكان، ومساءً في مكانٍ آخرَ، أكونُ نائماً حينَ يأتي ويكونُ نائماً حين أذهبُ صباحاً إلى المدرسةِ، فمتى سيرافقُني إلى مملكتِكَ؟

قالَ الملكُ وهو يشعرُ بعطفٍ شديدٍ نحوَه: كم أنتَ بائسٌ أيّها الصغيرُ المسكينُ؟

أكملَ الصغيرُ: ولو اقتصرَ الأمرُ على ما ذكرتُ لهانَ الأمرُ، كنتُ سأجدُ طريقةً لزيارةِ مملكتِكَ بمفردي.

قالَ الملكُ مقاطعاً: وهلْ هناكَ ما يشغلُكَ فوقَ هذا أيّها البائسُ؟

قالَ الصغيرُ مؤكّداً: نعم يا مولايَ نعم، فالواجباتُ المدرسيّةُ الكثيرةُ والثقيلةُ تأخذُ كلَّ الوقتِ المتبقّي لديَّ. يعاقبُني المعلّمُ إذا قلتُ إنّها كثيرةٌ، وسأتخلّفُ عن رفاقي إنْ لم أكتبْها، وأنا لا أريدُ التأخّرَ عنهم.

قال الملكُ مواسياً: هذا كثيرٌ على صغيرٍ مثلكَ، كثيرٌ جداً، ولكنْ معَ ذلكَ ألا يتبقّى لديكَ بعضُ الوقتِ لتزورَني فيه؟

قالَ الطفلُ: بصراحةٍ، ما يتبقّى من وقتي أخصصه للتلفزيون، أرى على شاشتِهِ ما أرغبُ من صورٍ ورسومٍ وأغانٍ وغيرِها، هُمْ يعرضونَ علينا عن طريقِهِ أشياءَ نحبُّها.

صمتَ الصغيرُ قليلاً كمن يريدُ تذكّرَ شيءٍ ثمّ قالَ مكملاً حديثَه: وحتى هذا أمّي لا تسمحُ لي بالجلوسِ أمامهُ طويلاً، هي تجبرُني على الذهابِ إلى الفراشِ مساءً وتوقظُني من متعةِ أحلامي صباحاً لأذهبَ إلى المدرسةِ، فكيفَ سأطيلُ زياراتي إلى مملكتِكَ الجميلةِ أيّها الملكُ الجميلُ؟

قالَ الصغيرُ هذا، ثمّ نظرَ إلى ساعتِهِ بخوفٍ ومضى مبتعداً مسرعاً كما جاءَ.

بعدما رحلَ الصغيرُ أطرقَ الملكُ يفكّـرُ، فكّرَ طويـلاً وهـو يمشـي جيئـةً وذهاباً فوقَ الشرفةِ، ثمّ دخلَ القصـرَ ماضيـاً إلى قاعـةِ عرشـهِ، وطلـبَ مـن بعضِ حرّاسِه إبلاغَ الوزيرِ ليحضرَ إلى هناكَ.

جاءَ الوزيرُ مسرعاً، وقفَ أمـامَ الملكِ باحترام، بزيِّهِ ولباسِه الملوّنِ الزاهي، كانَ يلبسُ سروالاً وقميصـاً ملوّنينِ فضفاضينِ مخطّطينِ بالعرضِ، وعلى رأسِه كانَ طرطورهُ الملوّنُ الطويلُ يتدلّى منه جرسٌ صغيرٌ لمّـاعٌ، كمـا كـانَ ينتعـلُ حذاءً أحمرَ مدببَ الرأسِ، أمّا مزمـارُه السحريُّ فكانَ يتدلّى من حزامِه الملوّنِ بألوانِ قوسِ قزحٍ.

قالَ الملكُ يخاطبُه: لقد قرّرتُ أمراً أيّها الوزيرُ.

سألَ الوزيرُ: هلْ أستطيعُ معرفتَه يا مولايَ؟

قالَ الملكُ: ولماذا طلبتُكَ إذن؟

ابتسمَ الملكُ ثمّ أضافَ ساخراً: وزيرٌ فهيمٌ، أنـتَ مثـلُ بعـضِ الـوزراءِ في مملكةِ البشرِ.

قالَ الوزيرُ محتجّاً: أرجو ألاّ تقـارن بيني وبين وزراءِ البشرِ يا مولايَ، أنا سأغضبُ إن فعلتَ ذلكَ.

قالَ الملكُ ساخراً من جديدٍ: ويشعرُ بالغضبِ مثلَهم أيضاً.

قالَ الوزيرُ مؤكّداً احتجاجَه: هلْ دعوتَني لتسخرَ منّي أيّها الملكُ؟ قـلْ مـا تريدُ وإلاّ فسأرحلُ.

قالَ الملـكُ ضاحكـاً: الآنَ أصبحـتَ وزيـراً في مملكـةِ الأحـلامِ، فمعظـمُ وزراءِ البشرِ لا يقولونَ ما قلتَ.

ابتسمَ الوزيـرُ راضياً معجَباً بنفسِه، بينما أضافَ الملكُ: اسمعْ أيّها الوزيـرُ، لقد علمتُ من مصادري الخاصّةِ ......

قاطعَهُ الوزيرُ: وأنتَ أصبحتَ مثلَ الملـوكِ في مملكـةِ البشـرِ، لـكَ مصـادرُ خاصّةٌ للمعلوماتِ.

ضحكَ الاثنان ضحكاً طويلاً وحينَ توقّفا أكملَ الملكُ: علمتُ أنّ النـاسَ لم يعدْ لديهم الوقتُ لزيارةِ مملكتي وبخاصّةٍ الأطفـالُ، هـم متعَبـونَ، حزانـى، بائسون، وواجـبي يدعونـي لزيـارتِهم وإدخـالِ السـرورِ في قلوبِهـم، أليسـوا رعاياي ولهم حقٌ عليَّ؟

قالَ الوزيـرُ باسماً: الآنَ أصبحتَ ملكاً للأحلامِ، لم تعدْ مثلَ ملوكِ البشرِ.

ضحكَ الاثنان مـن جديـدٍ، ضحكـا بشـدّةٍ وهمـا يضربـانِ كفّـاً بكـفٍّ ويقولان معاً: واحدةٌ بواحدةٍ.

سَألَ الوزيرُ حينَ توقّفا: وماذا قرّرتَ يا سيّدي؟

قالَ الملكُ: سـأقومُ برحلـةٍ أزورُ فيهـا رعايـايَ كلَّهـم، أو بعضَهـم علـى الأقلّ، فما رأيك؟

قالَ الوزيرُ: خيراً تفعلُ يا مولايَ، خيراً تفعلُ، زرْهمْ إنْ لم يستطيعوا زيارتكَ.

وهكذا تمَّ إقرارُ الرحلةِ، وأصدرَ الملكُ أوامرَه فأُحضِرَتْ له ثيابٌ جديدة زاهيةٌ، سروالٌ فضفاضٌ ذو ثنيّاتٍ كثيرةٍ، وقميصٌ سابغٌ ذو ثنيّاتٍ أكثرَ، والاثنان مخطّطانِ بالطول، وتاجٌ مربّعٌ برّاقٌ تتدلّى من رؤوسِ زواياهُ أجراسٌ صغيرةٌ لمّاعةٌ، وحذاءٌ أحمرُ مدبّبُ الرأسِ معقوفٌ نحوَ الأعلى، وعباءةٌ واسعةٌ جدّاً ملوّنةٌ من الداخلِ بألوان قوسِ قزحٍ ومنَ الخارجِ بلونِ السماءِ.

لبسَ الملكُ ثيابهُ، نظرَ إلى نفسِهِ في المرآةِ الكبيرةِ في قاعةِ العرشِ، دسَّ نايهُ السحريَّ في وسطهِ ثمّ سارَ باتجاهِ البابِ.

جرى الوزيرُ خلفَه سائلاً: ألنْ أرافقكَ يا مولايَ مثلَ وزراءِ مملكةِ البشرِ؟

ردَّ الملكُ: بلْ ستبقى هنا لإدارةِ أمور المملكةِ، تصرّفها بحكمةٍ وتعقّلٍ. قال الملكُ هذا وخرجَ.

في ساحةِ القصرِ كانت فرقةٌ هائلةٌ من جندهِ بانتظارِ أوامرِهِ، نظرَ إليهم مليّاً، اختارَ بعضَهم وطلبَ من الباقينَ الرحيلَ فغادروا سريعاً كما جاؤوا.

استعرضَ الملكُ المتبقّينَ من جنده، كانَ فيهم القصيرُ والثخينُ والطويلُ النحيفُ، الصغيرُ بحجمِ خفّاشٍ صغيرٍ بل وأصغرَ، والضخمُ بحجمِ عملاقٍ كبيرٍ، ذو الوجهِ المرعبِ، وذو الوجهِ الباسمِ، الأسودُ بلونِ الليلِ والأبيضُ بلونِ الثلجِ والأصفرُ بلونِ الذهبِ، كانوا متنوّعين، فيهم من كلِّ شكلٍ ولونٍ وحجمٍ ونوعٍ.

نظرَ الملكُ إليهم وهم واقفونَ أمامهُ باحترامٍ فداخله الغرورُ وانتفشَ مزهوّاً كديكٍ روميّ، دارَ حولهم مختالاً ثمّ أشارَ إليهم أن اتبعوني، ومضى ليقومَ بالرحلةِ، فماذا وجدَ؟ ومن قابلَ؟

البَدِينُ الأكُولُ

كانتِ الأشعّةُ الأولى لشمسِ الصباحِ تبزغُ مـن خلـفِ الجبـالِ حـينَ أرادَ الملكُ الرحيلَ، وكانتْ ريحٌ هادئـةٌ تهـبُّ قادمــةً مـن البحـرِ البعيـدِ، ركبهـا الملكُ ومضى يتبعه جنده.

ساروا كسربِ الأوّزِ، صفّين مائلينِ يشكّلان زاويةً رأسها الملـكُ، طـاروا طويلاً، حلّقوا فوقَ الجبالِ العاليةِ وقطعوا سهوباً واسعةً، كما شـاهدوا أثنـاءَ طيرانهم مدناً وقرىً ومزارعَ كثيرةً.

نظرَ الملكُ إلى جندهِ الطـائرينَ خلفَـه بانتظـامٍ، داخلَـهُ الغـرورُ والكبريـاءُ، افتخرَ بقوّته ونفسهِ، ظنَّ أنّه يستطيعُ التحكّم بالعـالمِ، نسـيَ رحلتَـه، وصـارَ يفكّرُ فيمن سيُنزلُ ضربته بهذهِ القوّة الضاربةِ التي يقودُها.

وفجأةً وكانتقامٍ من السماءِ ـ فعدالةُ السماءِ لا تحـبُّ المغروريـنَ ـ فجـأةً داهمته وجندَه عاصفةٌ هوجاءُ، بعثرتْ جنده وفرّقت قوّاته، فراحـوا يتقلّبـون

ويتصادمون ويتطايرون في كلّ اتجاه، وهم وملكُهـم لا حـولَ لهـم ولا قـوّةَ، ضعافٌ صغارٌ أمـامَ قـوّةِ السماءِ، كـانوا يبـدون حينـذاكَ كـأوراقِ الخريـفِ الصفراءِ في مهبِّ ريحٍ عاتيةٍ.

ومن بينِ الفوضى التي حدثتْ، وبينَ المصـدّقِ عينيـهِ ومكذّبهمـا، لمحَ الملـكُ قصراً منيفاً مسوّراً فهوى إليهِ يصارعُ الريحَ طالباً من جندهِ اللحاقَ به.

نزلَ بجانبِ القصرِ يحتمي بهِ من الريحِ، وانتظرَ حتى نزلَ إليهِ جندهُ، رتّبَ الجميعُ هيئاتهم المضطربـةَ ثـمّ ولجـوا القصـرَ مـع الهـواءِ بـاحثينَ عـنِ الهـدوءِ والدفـءِ والسكينةِ.

في صالةِ القصرِ كانَ رجـلٌ بديـنٌ جالسـاً خلـفَ طاولـةٍ مـلأى بصنـوفِ الأطعمةِ، كان يأكلُ منهـا بنهـمٍ شـديدٍ، كـان كمـنْ يبتـلعُ الطعـامَ ابتلاعـاً وكأنه يعاني جوعاً مزمناً.

انتهى الرجلُ، قامَ بصعوبةٍ، مضى يسبقه كرشُه إلى مقعدٍ مريحٍ، وطلـبَ مـن الخدمِ أن يُحضروا له شراباً لذيذاً راحَ يشربُ منهُ بنهمٍ شديدٍ أيضاً.

تمدّدَ الرجلُ في مكانهِ كي يرتاحَ فظهرَ لـه ملـكُ الأحـلامِ بكـاملِ هيئتـهِ، ابتسمَ لهُ ابتسامةً عريضةً، رآهُ الرجلُ فابتسمَ مرحّباً وقـالَ: أهـلاً بـكَ أيهـا الغريبُ الغنيُّ، ثيابُكَ كـم هـيَ جميلـةٌ، وأجمـلُ منهـا تاجُـكَ الذهـبيّ، بريقُـه يأسرني، ألا تعطيني إيّاه؟

سألَ الملكُ: وهلْ تحبُّ امتـلاكَ الذهبِ كثيراً، آثـارُ النعمـةِ باديـةٌ عليـكَ فهلْ تطلبُ المزيدَ؟

قالَ الرجلُ: وهلْ يشبعُ الإنسانُ من امتلاكِ الأموالِ أيّها الغريبُ؟ ابتسمَ ساخراً وأضافَ: أمرُكَ عجيبٌ وسؤالكَ غريبٌ أيها الغريبُ.

انتبهَ الرجلُ إلى وجودِ غريبٍ في قصرهِ دون إذنِهِ فسألهُ مستغرباً: كيفَ دخلتَ ووصلتَ إلى هنا أيها الغريبُ؟ ألمْ يمنعكَ الحرّاسُ؟

قالَ ملكُ الأحلامِ: أنا أدخلُ حيثُ أريدُ، لا أحدَ يستطيعُ منعي، ثمّ ألا تعرفني أنتَ؟ كم مرّةٍ رأيتكَ ورأيتَني في مملكتي وقصوري! يا لكَ من مُنكرٍ للجميلِ.

قالَ الملكُ هذا واختفى، أمّا الرجلُ فراحَ يفكّرُ في بناءِ قصرٍ لا مثيلَ له.

تمدّدَ الرجلُ في مكانهِ، أخذتْهُ غفوةٌ قصيرةٌ، وما كادَ يغمضُ عينيهِ حتى أمرَ الملكُ رجالَه بالانقضاضِ عليه فأسرعوا لتنفيذِ الأمرِ. أمسكَ الصغارُ بيديهِ ورجليهِ وأنشبوا أسنانهم فيها، أمّا القصارُ الثخانُ فجلسوا على صدرهِ وكرشِهِ، بينما أمسكَ الكبارُ برقبتهِ يضغطونَ عليها بشدّةٍ.

شلّتِ المفاجأةُ البدينَ الأكولَ، فجمدَ في مكانهِ، جحظتْ عيناهُ وفغرَ فمهُ وتلاحقت أنفاسُه قصيرةً سريعةً، لتوصلَ بعضَ الهواءِ إلى رئتيه اللتين كان الضغط يمنعهما من التنفسِ واستقبالِ الهواءِ براحةٍ.

بعدَ دقائقَ منْ هذا الوضعِ وحينَ أشرفَ الرجلُ على الاختناقِ، انتفضَ بقوةٍ - فالروحُ غاليةٌ كما يقولونَ - وإذا به يجدُ نفسَه في مكانه وحيداً ليسَ معه مَن يعضّ ولا مَن يضغطُ ولا مَن يخنقُ، كانَ جندُ ملكِ الأحلامِ قد

انسحبوا حينَ استيقظَ الرجلُ فهم لا سطوةَ لهم ولا قوةَ إلاّ في الأحلامِ، أليسوا جندَ ملكِ الأحلامِ؟

تطلّعَ الرجلُ حوله بذعرٍ، مسّدَ آثارَ العضِّ في يديه ورجليه وهوَ يقولُ: « كمْ كانَ حلماً مزعجاً؟! » ثم تمدّدَ مِنْ جديدٍ لينامَ، وما إنْ أغمضَ عينيه حتى هجمَ عليه جندُ ملكِ الأحلامِ مرةً أخرى وفعلوا ما فعلوه في المرّة الأولى، ومرّة أخرى انتفضَ الرجلُ مذعوراً متألماً.

في المرةِ الثالثةِ صاحَ الرجلُ طالباً النجدةَ فأسرعَ حرّاسه لنجدته، كانَ يصيحُ متألماً مادّاً يديه ورجليه وهو يقولُ: « أنجدوني، خلّصوني، كائناتٌ صغيرةٌ حادّة الأسنانِ تعضُّ يديَّ ورجليّ، وكائناتٌ قصيرةٌ ثخينةٌ تجلسُ على صدري وبطني وكائناتٌ أخرى تضغطُ على عنقي تريدُ خنقي، صدّقوني لم يكن حلماً ما رأيتُه، كانوا كثيرينَ، رأيتهم بعينيَّ هاتين ».

كانَ الرجلُ يتكلّمُ بسرعةٍ وهو يكادُ يبكي من الألمِ، والحرّاسُ يفتّشون الغرفةَ شبراً شبراً، فلمّا لمْ يجدوا أحداً وشاهدوا وجهَه المصفرَّ وصدرَه الذي يعلو ويهبطُ بقوةٍ، أسرعوا وأحضروا الطبيبَ.

استمعَ الطبيبُ إليه وهو يحدّثه عن الكائناتِ التي تعضُّ وتخنقُ وتضغطُ، ثمّ أنعمَ النظرَ في وجهه ويديه ورجليه، قلّبه ذاتَ اليمينِ وذاتَ الشمالِ، تحسسَ كرشَه الكبيرَ واستمعَ إلى دقاتِ قلبهِ المتلاحقةِ ثمّ سأله: ماذا أكلتَ؟ ردّ البدينُ لاهثاً: لم آكلِ الكثيرَ أيها الطبيبُ، بطةٌ محشوّةٌ ولحمٌ محمّرٌ فوقَ رزٍّ مقمّرٍ بالجوزِ واللوزِ، وصينيةُ حلوى، وفاكهةٌ أحبّها، وأتبعتُ ذلكَ بشرابٍ باردٍ حلوٍ، ألم أقلْ لكَ لم آكلِ الكثيرَ!

ابتسمَ الطبيبُ ساخراً وقالَ لنفسه: « أكلَ ما يكفي قريةً كاملةً ويقولُ لم آكلِ الكثيرَ، أيُّ أكولٍ هذا؟! » ثمّ خاطبه قائلاً: بعدَ اليومِ يجبُ أن تجوعَ كثيراً وتأكلَ قليلاً، بلْ قليلاً جداً، هذا أهمُّ منَ الدواءِ الذي سأصفُه لكَ.

صاحَ البدينُ الأكولُ: هذا ظلمٌ أيها الطبيبُ، ظلمٌ لا أقبله، كيفَ أحرمُ نفسي من الطيباتِ التي أملكها، لا، لا، لن أقبلَ بهذا.

قالَ الطبيبُ: إذن استعدّ لزيارةِ الكائناتِ التي وصفتَها والتي تعضُّ وتخنقُ وتضغطُ، ولا أكتمك سراً إن قلتُ لكَ قد تخنقك في المرةِ القادمةِ أو بعدها.

قالَ البدينُ متوسلاً باكياً: ألا يوجدُ حلٌ آخرُ أيها الطبيبُ، أرجوكَ ابحثْ لي عن حلٍّ آخرَ. قالَ الطبيبُ وهو يحزمُ حقيبته ويخرجُ: لا يوجدُ حلٌّ آخرُ، لا يوجدُ حلٌّ آخرُ.

أمّا ملكُ الأحلامِ فقدْ قالَ لجنده: لقدْ قمنا بواجبنا وحذّرناه، هذا كلُّ ما نستطيعُه.

مَلِكُ الأوْهَامِ

حينَ أشرقتِ الشمسُ جمعَ ملكُ الأحلامِ جندَه وقالَ لهم: داخلني الغـرورُ بوجودِكم معي والغرورُ حماقةٌ ما بعدَها حماقةٌ وكادَ ذلـكَ يهلكُنا البارحةَ، عودوا إلى مواقعِكم وسأطلبُكم عندما أحتاجُ إليكم لأمرٍ هامٍ.

قالَ الملكُ هذا، ثمّ ودّعَ جندَه، وحلّق طائراً فوقَ جناحِ الريحِ نحوَ الأعالي.

طارَ الملكُ طويلاً على غيرِ هدىً، وحينَ أطـلّ مِن عليائـه شـاهدَ مدينـةً كبيرةً غيرَ بعيدةٍ أمامـه، وجّـه وجهَـه نحوهـا ومضـى يستطلعُ وضعهـا، دارَ فوقها، أذهلته بيوتها البسيطةُ المتنـاثرةُ بـلا نظـام، اسـتغربَ كـثرةَ الشـوارعِ المتربةِ المغبّرةِ وأدهشه وجودُ قصرٍ كبيرٍ مسوّرٍ في وسطِ المدينةِ.

طارَ الملكُ فوقَ القصرِ، دارَ حولـه ثـم هبـطَ في حديقتـه الواسـعةِ، أسـندَ ظهرَه إلى جذعِ شجرةٍ وراحَ يرقبُ رجلاً عليه ثيـابٌ مطـرزةٌ فـاخرةٌ وعلـى رأسِه تاجٌ مذهّبٌ، يـروحُ ويجيءُ مطرقـاً حزينـاً يتبعـه كظلّـه رجـلان يبـدو عليهما الخوفُ والقلقُ.

طالتْ وقفةُ ملكِ الأحلام، ودفعَه الفضولُ لمعرفة سرِّ الرجلِ، فأخرجَ نايه السحريّ وراحَ يعزفُ عليه لحناً هادئاً رقيقاً عذباً.

تسللتِ الألحانُ إلى أسماعِ الرجلِ، وقفَ مشدوهاً مُعجباً بها، تطلّعَ حوله باحثاً عن مصدرِها، فشاهدَ ملكَ الأحلام بكاملِ هيئتِه، تاجُه المربّعُ ذو الأجراسِ الصغيرةِ كان لمّاعاً، وثيابُه الملوّنةُ الفضفاضةُ كانت زاهيةً وعباءتُه القزحيّةُ كانتْ تشعُّ بألوانها البرّاقةِ الجميلةِ.

اقتربَ الرجلُ ذو التاجِ من ملكِ الأحلامِ، جذبته الألحانُ العذبةُ والمنظرُ الغريبُ والألوانُ المشعّةُ، سارَ نحوه، دارَ حوله يتبعه تابعاه ذاهلين، وقفَ أمامه، تفرّسَ في وجهه الصبوحِ بإمعانٍ، ثم صاحَ قائلاً: أهلاً بكَ في قصري يا ملكَ الأحلامِ، كنتُ أنتظرك بفارغِ الصبرِ، فكلٌّ منّا يكملُ الآخرَ، أنتَ ملكُ الأحلامِ وأنا ملكُ الأوهامِ.

كانَ الرجلُ ذو التاجِ يتكلّمُ وتابعاه ينظرانِ إليه باستغرابٍ مدهوشين فاغري الأفواهِ جاحظي العيونِ لا يفهمان ما يقولُ، فهما لم يكونا قد رأيا ملكَ الأحلامِ مثلَه.

توقّفَ ملكُ الأحلامِ عنِ العزفِ وسألَ الرجلَ: أأنتَ ملكٌ أيضاً؟

ردَّ الرجلُ: نعم ولكنْ للأوهامِ.

سألَ ملكُ الأحلامِ من جديدٍ: أهذا القصرُ لكَ؟

ردَّ الرجلُ: نعم.

-والجندُ الذينَ يحرسونه، أليسوا جندَك؟

- بلى.

- إذن أنتَ ملكٌ حقيقيٌّ.

- لا، لستُ ملكاً حقيقياً.

- أصدقك القولَ، أنا لم أفهم شيئاً؟

سألَ الرجلُ ذو التاجِ: أوتريدُ أن تفهمَ؟

ردَّ ملكُ الأحلامِ: نعم، وأنا متشوّقٌ لذلك.

قالَ الرجلُ: إذن اتبعني.

أشارَ الرجلُ إلى أحدِ تابعيه فانطلقَ سريعاً، خلفَه سارَ الرجلُ يتبعه ملكُ الأحلامِ، وجدا عندَ بابِ القصرِ عربةً ملكيةً تجرّها ستةُ خيولٍ قويةٍ، ركبَ الملكان فانطلقت بهما يقودُها سائقٌ حسنُ الهندامِ ويحيطُ بها فرسانٌ مسلّحون.

مرّتِ العربةُ في شوارعَ متربةٍ يعلو فيها الغبارُ كلما هبّت نسمةٌ، وعلى أطرافِ الشوارعِ كانت تمتدُّ بيوتٌ طينيةٌ أو حجريةٌ بسيطةٌ، الحوانيتُ كانت شبهَ فارغةٍ يطنّ فيها الذبابُ أسراباً أسراباً، وأطفالٌ نحافٌ ضعافٌ شبهُ عراةٍ منتشرون هنا وهناك وقفوا مشدوهين ينظرونَ إلى العربةِ الملكيةِ بإعجابٍ وخوفٍ.

قالَ الرجلُ مخاطباً ملكَ الأحلامِ: أرأيتَ الشوارعَ التي مررنا بها وحوانيتها الفارغةَ والأطفالَ البائسينَ الذين يلعبونَ فيها؟

-نعم رأيتُ كلَّ ذلكَ.

- هل هذه مدينةٌ تليقُ بملكٍ حقيقيٍّ؟

- لا، لا تليقُ أبداً.

وانطلقتِ العربةُ بهما خارجةً منَ المدينةِ، كانَ رتلٌ طويلٌ منَ الناسِ يدبُّ على الطريقِ الذي كانتِ العربةُ تسيرُ عليه، كانوا متعبينَ يحملون على ظهورهم وظهورِ دوابهم قرباً مليئةً. سألَ الرجلُ الملكَ منْ جديدٍ: أترى هؤلاء الناسَ البائسينَ المتعبينَ؟

-نعم أراهم، فماذا يحملون في هذهِ القُربِ؟

-يحملون المياهَ منَ النبعِ البعيدِ إلى المدينةِ العطشى وناسِها العطاشِ، فهل هذه مدينةٌ ملكيةٌ بحالتها ومعاناتها هذه يا ملكَ الأحلامِ؟

ردّ ملكُ الأحلامِ: لا يمكنُ أن تكونَ مدينةٌ عطشى مدينةً ملكيةً.

وتابعتِ العربةُ سيرَها، وصلتْ إلى حقولٍ زراعيةٍ واسعةٍ، كانَ فلاّحون بائسون يتحرّكون فيها ببطءٍ ويعملون بصعوبةٍ وتمهلٍ واضحين، كانَ يبدو عليهم التعبُ وآثارُ المرضِ، فوجوههم كانت شاحبةً ذابلةً، وعيونهم كانت حزينةً بائسةً.

سألَ الرجلُ الملكَ: هل هؤلاءِ الفلاحونَ المتعَبـون المرضـى فلاحـو مملكـةٍ حقيقيةٍ؟

ردّ ملكُ الأحلامِ: لا، لا يمكنُ أن يكونوا كذلكَ.

همّ الرجلُ الملكُ بإصدارِ أوامره بالسير، لكنّـه توقّـفَ حـينَ لمحَ قافلـةً بعيـدةً مقبلةً باتجاهِ المدينةِ فالتفتَ إلى ملكِ الأحلامِ وخاطبَه: أترى تلكَ القافلةَ؟

ردّ ملكُ الأحلامِ: نعم أراها بوضوحٍ، فما هي؟

-هي قافلةٌ تجاريةٌ تأتينا بما نحتاجُـه مـن مصنوعـاتٍ وحاجـاتٍ أخـرى لا تتوافرُ لدينا، فهل تكونُ مدينةٌ ملكيةٌ هذه التي تحتاجُ إلى الآخرينَ كي تؤمّنَ حاجاتها؟

-لا، لا يمكنُ أن تكونَ كذلك.

تنهدَ الرجـلُ الملـكُ بعمـقٍ وأمـرَ العربـةَ بالسـيرِ، وصـلَ الملكـانِ إلى دارٍ كبيرةٍ، شاهدا في حديقتها مائدةً عامرةً يجلسُ خلفها رجلٌ وحيدٌ يتنـاولُ مـا عليها من أصنافِ الطعامِ بشراهةٍ عجيبةٍ، كرشُـه كـانَ كبـيراً متدليـاً وعينـاه كانتا جاحظتين وحوله كانَ يدورُ خدمٌ ضامرونَ ينظرونَ إلى الطعامِ باشتهاءٍ وإليه بخوفٍ.

قالَ الملكُ مخاطباً ملكَ الأحلامِ: وهذا الـذي تراهُ يلتهمُ كلَّ شـيءٍ ناسـياً مَن حوله مِن جياعٍ هل يمكنُ اعتبارُه مِن رعايا مملكةٍ حقيقيةٍ؟

ردّ ملكُ الأحلامِ وهو ينظرُ إلى صاحبِ الطعامِ باستغرابٍ: في الحقيقةِ لا يمكنُ ذلكَ.

قالَ الملكُ: هل فهمتَ الآنَ لماذا قلتُ لك إني ملكٌ للأوهامِ ولستُ ملكاً حقيقياً؟

أطرقَ ملكُ الأحلامِ مفكراً، ثم رفعَ رأسه، نظرَ إلى الملكِ بحنان، فتحَ عباءته القزحيةَ فشعّتْ ألواناً زاهيةً جميلةً، وراحَ يعزفُ من جديدٍ ألحانه الرائعةَ وهو يحرّكُ رأسه حركاتٍ رتيبةً مصدراً رنيناً عذباً من أجراسِ تاجهِ الصغيرةِ.

سحرتِ الألحانُ الملكَ، جذبته عذوبتها، فتقدّمَ نحوَ ملكِ الأحلامِ ودون أن يشعرَ دخلَ في ثنيةٍ من ثنايا ثيابهِ الفضفاضةِ وراحَ ينتقلُ من بلدٍ إلى بلدٍ على أجنحةِ الأحلامِ الناعمةِ الجميلةِ.

شاهدَ الملكُ مدناً جميلةً نظيفةً ذات عماراتٍ ودورٍ وقصورٍ رائعةٍ، زارَ مصانعَ حديثةً عمّالها أصحّاء وحقولاً يانعةً فلاّحوها سعداءُ وقابلَ أطفالاً فرحينَ في كلّ مكانٍ.

دارَ الملكُ كثيراً، ساحَ في بلادِ اللهِ الواسعةِ كما شاءَ، وحينَ شعرَ بالتعبِ عادَ إلى حديقةِ قصرهِ حيثُ كانَ ملكُ الأحلامِ مسنداً ظهره إلى جذعِ الشجرةِ ينظرُ إليه بحنانٍ ومودّة.

حينَ عادَ الملكُ من تجوالِهِ توقّفَ ملكُ الأحلامِ عن عزفِهِ وسأله: أتريدُ أن تصبحَ ملكاً حقيقياً؟

ردّ الملكُ: نعم أريدُ ذلكَ وأتمنّاه كثيراً.

قالَ ملكُ الأحلامِ: وهلْ رأيتَ الممالكَ والمدنَ الحقيقيةَ كم هي رائعةٌ؟

ردّ الملكُ: نعم رأيتها، رأيتها جيّداً.

ابتسمَ ملكُ الأحلامِ ابتسامةً عريضةً، ثمّ لفّ نفسه بعباءته ومضى.

انتبهَ الملكُ حينَ رحلَ ملكُ الأحلامِ، وبحثَ عنه بعينيهِ فيما حوله فلم يجدْ غيرَ تابعيه واقفين قربه وقد غلبتهما الدهشةُ، كانا يظنّان أنّ الملكَ يحدّثُ نفسه.

صاحَ بهما الملكُ: ما لكما تحملقان في الفراغِ كأحمقين، هيّا أحضروا لي الوزيرَ بسرعةٍ.

انتبهَ التابعان من شرودهما، ثمّ أسرعا لإحضارِ الوزيرِ.

أمّا الملكُ فقد مضى إلى مكتبه وهو يردّدُ في نفسه: لا بدّ من عملِ شيءٍ، بل لا بدّ من عملِ الكثيرِ الكثيرِ.

المُختَرِعُ

تركَ ملكُ الأحلامِ قصرَ ملكِ الأوهـــامِ ومضـى، طـارَ محلّقـاً في السـماءِ، حلّقَ عالياً حتى صارَ فوقَ الغيومِ، شعرَ بالوحدةِ والوحدةُ قاسـيةٌ، فاسـتدعى وزيره ليؤنسَ وحدته.

جاءَ الوزيرُ مسرعاً تسبقه ألوانُ ثيابهِ الزاهية، ورنينُ الجرسِ الصغيرِ المتدلّي من طرطوره الطويلِ الملوّنِ بألوانِ قوسِ قزحٍ، فالوزير لا يملكُ عبـاءةً قزحيـةً مثلَ عباءةِ مليكه.

طارَ الاثنان طويلاً جنباً إلى جنبٍ، فالوزيرُ في مملكـةِ الأحـلامِ لا يتخلّـفُ عن الملكِ قليلاً أثناءَ السيرِ أو الطيرانِ كما في مملكةِ البشرِ، قطعا مسافةً طويلةً وهما محلّقان في الأعالي حتى أحسّا بالتعبِ، نظرا إلى الأسفلِ باحثَيْن عن مكـانٍ ينـزلان فيه فلم يجدا سوى مياهٍ زرقاءَ تمتدّ بلا نهايةٍ.

استمرّا في تحليقهما وبحثهما حتى نالَ منهما التعبُ وأشرفا على السقوطِ في المياهِ، وفجأةً لاحت أمامهما بقعةٌ خضراءُ من بعيدٍ، سُرّا لرؤيتها كثيراً واتجها نحوها بفرحٍ وشوقٍ، وحين وصلا إليها زادَ فرحُهما إذْ وجداها جزيرةً خضراءَ يانعةَ الخضرةِ محاطةً بشريطٍ من الرمالِ الذهبيةِ الناعمةِ النظيفةِ وحولها يمتدُّ محيطٌ لا متناهٍ من المياهِ الزرقاءِ الصافيةِ التي كانت أمواجُها الناعمةُ تدغدغُ رمالَ الشاطئ بنعومةٍ وتغسلُها بلطفٍ وهدوءٍ بين الفيْنةِ والفينة، كان تتالي منظرِ الزرقةِ والصفرةِ والخضرةِ يرسم أمامهما لوحةً رائعةً من الجمالِ الحيّ الذي يريحُ العينَ والنفسَ.

راقَ لهما المنظرُ كثيراً، فهبطا من عليائهما وهما يرسمان في الفضاءِ حلقاتٍ دائريةً جميلةً راحتْ تصغرُ وتصغرُ حتى حطّا على الأرضِ بهدوءٍ فوقَ الرمالِ الناعمةِ.

نظرا حولهما بإعجابٍ، كانت الأشجارُ مثقلةً بالثمارِ الناضجةِ التي كانت تتدلّى من الأغصانِ المنحنيةِ فوق المياهِ بلطفٍ، وكانتِ الطيورُ من كلّ نوعٍ ولونٍ تحومُ صاعدةً هابطةً وهي تغرّدُ بسعادةٍ وأمانٍ، وغيرَ بعيدٍ عنهما كان جدولٌ رقراقٌ يصبُّ مياهه في البحرِ بنعومةٍ ولطفٍ.

سارا نحوَ الجدولِ ومشيا بجانبه داخليْن إلى الجزيرةِ تدفعهما رغبةٌ قويةٌ لاكتشافها، ولكنهما ما إن قطعا مسافةً قصيرةً حتى وجدا أمامهما عيناً واسعةً عذبةً، تسبحُ في مياهها أسماكٌ ملوّنةٌ جميلةٌ، وتخيّمُ فوقها شجرةٌ

كبيرةٌ وارفةُ الظلِّ. ودون أن يفكّرا ألقيا بنفسيهما في مياهِ العينِ وراحا يسبحان بفرحٍ وسرورٍ دون أن ينتظرا خلعَ ثيابهما ففي مملكةِ الأحلامِ يسبحُ المرءُ كما يشاءُ بثيابهِ أو بدونها، فالثيابُ لا تبتلُّ في تلكَ المملكةِ.

توقّفَ الملكُ بعدَ قليلٍ عن السباحةِ فتوقّفَ الوزيرُ، وليكملَ الملكُ لعبهُ بدأ يرشُّ الوزيرَ بالمياهِ فردّ عليه الوزيرُ بالمثلِ، ففي مملكةِ الأحلامِ لا يخافُ الوزراءُ من الملوكِ، مرّةً أخرى توقّفَ الوزيرُ حينَ توقفَ الملكُ الذي بادرَ الوزيرَ سائلاً: ألا تشعرُ بالجوعِ أيها الوزيرُ، كل شيءٍ هنا يغري الآكلين بتناوله.

قال الوزيرُ: أجوعُ حين تجوعُ أيها الملكُ المبجّلُ.

قالَ الملكُ مازحاً: دعكَ من نفاقكَ وهيّا جهّز لي سمكاً مشوياً، أنا ملكٌ والملوكُ يكثرون من تناولِ اللحومِ ,

قالَ الوزيرُ: ولذلك فهم يمرضون كثيراً.

قالَ الملكُ: دعْ عنكَ الحكمةَ وهيّا إلى العملِ، أشتهي رائحةَ الشواءِ كثيراً، وما عليكَ إلا أن تحقّقَ رغباتي، هكذا همُ الوزراءُ ينفذون أوامر الملوكِ ويحققونَ لهم رغباتهم.

قالَ الوزيرُ: سمعاً وطاعةً يا مولاي. وأسرعَ ليحقّق للملكِ ما أرادَ، ولأنّ الرغبات تتحققُ بسهولةٍ في مملكةِ الأحلامِ فسرعانَ ما كانت هنالك نارٌ وسمكٌ يُشوى ورائحة شواءٍ تتصاعدُ منه، وكانَ الملكُ ووزيرهُ واقفيْن يشمّان تلكَ الرائحةَ باشتهاءٍ وسرورٍ حتى شعرا بالاكتفاءِ، ففي مملكةِ

الأحلامِ لا تتناولُ الكائنات الطعـامَ كمـا في مملكـةِ البشـرِ بـل تكتفـي بشـمّ الرائحةِ شمّاً.

مضى الاثنان وجلسا بجانب جذعِ الشـجرةِ المخيّمةِ فـوقَ العيْـنِ، أسـندا ظهريهما إليها، عارضيْن وجهيهما للنسمات المنعشةِ الناعمةِ التي كانت تأتي من البحرِ القريبِ، وما هيَ إلاّ لحظاتٌ حتـى أخذتهمـا غفـوةٌ ودخـلا عـالم النومِ الهنيءِ.

ولكنَّ هناءتهما لم تدمْ طويـلاً، إذْ استيقظا مذعوريْن علـى صـوتٍ قـويّ كـانَ يقـتربُ منهـما، تطلّعـا حولهمـا وفوقهمـا فوجـدا طـائرةً تقـتربُ مـن الجزيرةِ، وأمامَ دهشتهما راحت تخفضُ من ارتفاعهـا وتهبـطُ تدريجيـاً باتجـاهِ الجزيرةِ.

أشارَ الملكُ إلى الوزيرِ أن اتبعني، وطارَ لاحقاً بالطائرةِ، وسرعانَ ما كـانَ الاثنان يحومان فوقها لأنّ الأحلامَ أسرعُ من الطائراتِ بكثيرٍ.

حطّتِ الطائرةُ على مدْرجٍ معدٍّ في الجزيرةِ، ثم درجَتْ حتى وقفت قربَ بناء صغيرٍ جميلٍ محاطٍ بالأشجارِ الباسقةِ التي تكادُ تحجبه عن الأعينِ ويفصلـه سورٌ حديديّ عمّا حوله، وحولَ السّورِ كانَ رجالٌ أشدّاءُ يقظـونَ يـدورون حولَ المكانِ يحرسونه.

شاهدَ الملكُ ووزيره كلّ ذلكَ بعدما دارا حولَ المكانِ ليحطّا على شجرةٍ اختاراها ليرقبا منها ما يجـري، كانـا يبـدوان كعصفوريـن جميلـين محلّقـين لا يمكنُ أن يشكّ فيهما أحدٌ.

نزلَ من الطائرةِ رجالٌ أشدّاءُ وقفوا باحترامٍ لرجلٍ نزلَ بعدهم وسارَ أمامهم إلى مكانٍ معدٍّ في الحديقةِ، جلسَ خلفَ طاولةٍ صغيرةٍ نظيفةٍ، وضعَ رِجْلاً فوقَ الأخرى، أصدرَ أوامرَ مقتضبةً أسرعَ بعضهم لتنفيذها وبقيَ بعضهم محيطين به، أمّا هو فراحَ ينظرُ إلى مَنْ حوله بكبرياءٍ.

قالَ الملكُ لوزيرهِ: يبدو أنّ هذا كبيرهم.

قالَ الوزيرُ: هذا ما يبدو من تصرّفاته وعجرفتهِ.

قالَ الملكُ: تعالَ نرَ ما حكايته.

تركَ الاثنان مكانهما على الشجرةِ، حطّا على الأرضِ أمامَ الرجلِ الكبيرِ، ظهرا له بكاملِ هيئتهما وزيّهما الجميلِ، شاهدهما الرجلُ، نظر إليهما بإعجابٍ وقالَ: أهلاً بكما، أنا أعرفكما جيداً، كنتُ أزور مملكتكما كثيراً، أنتما تعرفاني ويبدو أنكما معجبان بإنجازاتي وجئتما لتقدّما لي فروضَ الطاعةِ وتصبحا من رعاياي

ابتسمَ الرجلُ ابتسامةً عريضةً ثمّ أضافَ: هكذا هي الحياةُ، مرّةً تكونُ ملكاً ومرةً تكونُ من الرعيّة.

قالَ الملكُ: هذا في عالمكم أنتم البشرُ، أما في عالمنا فالملكُ يظلّ ملكاً.

أضافَ الوزيرُ: نعم، هذا صحيحٌ، والوزيرُ يبقى وزيراً، ونحنُ لا نقدّم فروضَ الطاعةِ لأحدٍ، الجميعُ يجب أن يقدّموا الطاعةَ لنا، للملكِ أولاً وللوزيرِ ثانياً، وأنتَ ستفعلُ ذلك وستظلّ تفعله.

قالَ الرجلُ: لم أعدْ أهتمّ بأحدٍ، سأصبحُ سيّدَ العالم بعد وقتٍ قصيرٍ.

سألَ الملكُ باستغرابٍ: وكيفَ ستصبحُ سيّداً للعالم بعدَ وقتٍ قصيرٍ؟

قالَ الرجلُ مشيراً إلى البناء وما حوله: في هذا المختبرِ الذي هو ملكي عالمٌ كبيرٌ سيصنعُ لي سلاحاً فتّاكاً مدمّراً يستطيعُ تدميرَ العالم كلّه بلحظاتٍ، سأسيطرُ به على العالمِ وثرواتهِ، وسأدمّرُ كلّ بلدٍ يعارضني، سأسوّي به الأرضَ تماماً.

قالَ الملكُ وهو يخاطبُ الوزيرَ: ياله من شرّيرٍ. ثمّ التفتَ إلى الرجلِ وسأله: وماذا ستفعلُ بعدَ أن تحكمَ سيطرتك على العالمِ؟

قالَ الرجلُ: سأجلسُ في جزيرةٍ جميلةٍ هادئةٍ منعزلةٍ مثل هذه، أحيطُ نفسي بالخدمِ والحشمِ وأرتاحُ كما أشاءُ.

قالَ الوزيرُ: لمَ لا ترتاحُ منذُ الآنَ، أيحتاجُ الأمرُ إلى تدميرِ العالمِ حتى ترتاحَ، أليسَ هذا ما قاله وزيرٌ لمليكه الذي أراد غزوَ العالمِ في سالفِ العصرِ والأوانِ؟

قالَ الرجلُ: وكيفَ أستطيعُ الراحةَ وأنا لم أسيطرْ على العالمِ بعدُ؟

قالَ الملكُ مخاطباً وزيره: يبدو أنّ عالمَ البشرِ يمرُّ بالتجاربِ نفسها دائماً، ثمّ التفتَ إلى الرجلِ وأضافَ: ولكنّكَ لن تسيطرَ على العالمِ أبداً.

وأيّدَ الوزيرُ: ما أنتَ إلاّ طاغوتٌ صغيرٌ مشوّهٌ لن تستطيعَ السيطرةَ على أحدٍ.

غضبَ الرجلُ، نهضَ مزمجراً وصاحَ: اقبضوا على هذين المعارضيْن، بلْ اقتلوهما فوراً.

أسرعَ الرجالُ الحرّاسُ، ركضوا يدورونَ في المكانِ بدون هدىً، فهم لم يكونوا قد شاهدوا شيئاً، أما الملكُ والوزيرُ فقد اختفيا دون أن يتركا أثراً.

عادَ الرجلُ لجلسته، ضربَ جبهته بيدهِ وهو يقولُ: يبدو أني كنتُ أحلمُ.

خرجَ رجالٌ من المبنى يقودونَ شيخاً نحيلاً هزيلاً تسبقه لحيتُه البيضاءُ، استقبله الرجلُ الكبيرُ بحفاوةٍ كبيرةٍ، أجلسه بجانبه وأنصتَ إليه باهتمام، أصدرَ أوامر أخرى ومضى إلى طائرته يتبعه حرّاسُه، وطارَ عائداً من حيثُ أتى.

ظلّ الشيخُ ذو اللحيةِ البيضاءِ جالساً، أسندَ رأسه إلى يدهِ وأطرقَ مفكّراً إلى أن أخذته غفوةٌ صغيرةٌ.

عادَ ملكُ الأحلامِ ووزيرهِ إلى المكانِ ووقفا متجاوريْن أمام الشيخِ النائمِ، فرَدَ الملكُ عباءته، فشعّت في المكانِ أنوارٌ زاهيةٌ مفرحةٌ،وبدأَ العزفَ على نايه السحريّ ففعلَ الوزيرُ مثله وبدأَ العزفَ على مزمارهِ وهو يحرّكُ رأسه طرباً مصدراً رنيناً صافياً من جرسِ طرطوره الصغيرِ.

انسكبتِ الألحانُ الرائعةُ في أذنيّ الشيخِ المهمومِ، ولامستْ أعصابَه المتعبةَ فنسيَ همومَه وتعبه ورفعَ رأسه ناظراً حوله بفرحٍ غامرٍ، سَعِدَ بمشاهدةِ الملكِ والوزيرِ بزيّيهما الجميلين فخاطبهما قائلاً:

أهلاً بكما أيها الجميلان الغريبان، لقد سررتُ بلقائكما وألحانكما فمن أنتما؟

قالَ الوزيرُ مشيراً إلى الملكِ: هذا ملكُ الأحلامِ وأنا وزيره، ألا تعرفنا؟ ألم تزرْ مملكتنا الجميلةَ؟

قال الشيخُ النحيفُ: لقد سمعتُ عن مملكتكما الجميلةِ، سمعتُ عنها في صغري كثيراً، أمّا بعد ذلك فقد شغلتني أبحاثي وتجاربي عنها.

قالَ الملكُ: ولكنّ العلماءَ والأدباءَ هم زوّارُ مملكتي الدائمون فلماذا لا تفعلُ مثلهم؟

قالَ الشيخُ: منذُ سنواتٍ وأنا مشغولٌ ببحثٍ هامٍ شغلَ فكريَ وأخذَ وقتيَ كلّه.

سألَ الملكُ: وعمّ تبحثُ أيها الشيخُ الوقورُ؟

ردّ الشيخُ: عن قوّةٍ هائلةٍ أستطيعُ إنتاجها والتحكّمَ فيها لاستعمالها حينَ الحاجةِ.

سألَ الوزيرُ: وبمَ أو فيمَ ستستعملُ تلكَ القوّةَ؟

ردّ الشيخُ: أنا لن أستخدمها، سأسلّمها لصاحبِ هذا المختبرِ، أنا يكفيني الإنجازُ العلميّ.

قالَ الملكُ: وماذا لو استخدمَ صاحبُ المختبرِ تلكَ القوّةَ للتحكّمِ في العالمِ أو تدميره؟

قالَ الشيخُ: وما ذنبي أنا لو فعلَ ذلك؟!

قالَ الوزيرُ: بل الذنبُ كلّه يقعُ عليكَ إذا ما استخدمَ تلكَ القوّةَ لتدميرِ العالمِ أو جزءٍ منه.

أضافَ الملكُ: ودماءُ الأبرياءِ التي ستسيلُ ستملأُ ناظريكَ، وصراخُ الجرحى والمعذّبين والمشوّهين سيصمّ أذنيكَ، إنكَ لن تهنأ بجمالٍ أو نومٍ، وستعيشُ كلّ حياتك معذّباً متألماً.

سألَ الشيخُ باستغرابٍ: وهل ينوي صاحبُ المختبرِ استعمالَ ما سأنتجُه لتدميرِ العالمِ؟

قالَ الملكُ والوزيرُ معاً: ربّما، ربما.

سألَ الشيخُ من جديدٍ: وهل سيحمّلني العالمُ ذنبَ ما سيجري؟

قالَ الملكُ والوزيرُ معاً: بالتأكيدِ، بالتأكيدِ.

صمتَ الشيخُ واطرقَ يفكّرُ من جديدٍ، ومن جديدٍ عادَ الملكُ والوزيرُ لعزفهما وتحريكِ رأسيهما وإصدارِ الرنينِ من أجراسهما، ودونَ أن يشعرَ الشيخُ رفعه الملكُ وأدخله في ثنيّةٍ من ثنايا ثيابه الواسعةِ فانتقلَ الشيخُ إلى عالمٍ آخرَ وراحَ ينتقلُ على جناحِ الأحلامِ من بلدٍ إلى بلدٍ، هاله ما وجدَ من خرائبَ يتصاعدُ منها الدخانُ، وأفزعته كثرة الجثثِ المحترقةِ والمشوّهةِ التي كانت تملأُ الساحاتِ والطرقاتِ، وتعذّبَ كثيراً وهو يسمعُ أنّاتِ الجرحى وآهاتِ المشوّهين، رأى في كلّ مكانٍ زاره حرائقَ ودماراً شاملاً لا يقبله إنسانٌ متحضّرٌ.

أعادَ ملكُ الأحلامِ الشيخَ إلى جلسته بعدَ جولته تلكَ وهو يصيحُ: لا، لا يجوزُ هذا، لا أقبلُ أن يحدثَ هذا للعالمِ، أنا أعملُ لصالحِ البشرية والناسِ، لأفيدهم، ليظلّ العالمُ جميلاً كما خلقه الخالقُ.

نهضَ الشيخُ، نظرَ لمن حوله باستغرابٍ، لم يجدِ الملكَ والوزيرَ، سألَ الحرّاسَ: أينَ ذهبَ الجميلان اللذان كانا واقفين هنا؟

نظرَ الحرّاسُ إلى بعضهم باستغراب وقالوا: لم يكنْ أحدٌ هنا ياشيخنا الجليلَ.

قالَ الشيخُ: رأيتهم بعينيّ وحدّثتهم بلساني.

صمتَ الشيخُ، أدركَ أنه كانَ في مملكةِ الأحلامِ، ألقى نظرةً شاملةً على المكانِ وهو يقولُ في سرّه: « ربما كانَ حلماً ما رأيته، ولكنّه حلمٌ جميلٌ أشعرني بواجبي تجاه الناسِ والحياةِ والعالمِ ».

قالَ الشيخُ هذا ومضى بخطواتٍ بطيئةٍ يتبعه حرّاسه الذين ما شاهدوا ولا عرفوا شيئاً مما جرى، أما ملكُ الأحلامِ ووزيره فقد طارا عائدين يتابعان رحلتهما.

الرّاعِي الحَالِمُ

طارَ ملكُ الأحلامِ ووزيره متابعيْن رحلتهما، حلّقا طويلاً إلى أن صارا فوقَ سهلٍ فسيحٍ تغطّيه خضرةٌ يانعةٌ وتتناثرُ في جنباته أشجارٌ مزهرةٌ، وقطعانٌ منَ الأغنامِ والماعزِ ترعى في أماكنَ متفرقةٍ منه.

أعجبهما المنظرُ ودفعهما الفضولُ وحبُّ الاستطلاع إلى النزولِ والتجوّلِ بينَ جنباتِ السهلِ وبينَ أشجارهِ المزهرةِ واستنشاقِ النسيمِ المنعشِ المحمّلِ بأريجِ أزهارِ الربيعِ، فهبطا من عليائهما رويداً رويداً حتى حطّا على الأرضِ في فسحةٍ خضراءَ قربَ شجَرةٍ كبيرةٍ مزهرةٍ، كانا يبدوان كطائرين كبيرين ملوّنين جميلين.

وراحا ينظران إلى ما حولهما معجبين بما يريانه من خضرةٍ وأزهارٍ وما يهبُّ عليهما من نسيمٍ عليلٍ معطّرٍ، فقرّرا التجوّلَ بينَ جنباتِ السهلِ والتفرّج على مناظرهِ الخلاّبة، ولكنهما ما إن سارا بضعِ خطواتٍ حتى

شاهدا راعياً ممسكاً بعصاهُ، مسنداً ظهره إلى جَذعِ الشجرةِ الكبيرةِ المزهرةِ التي كانت أمامهما غاطّاً في نومٍ عميقٍ، وقربه كانَ يقفُ حماره وحوله قطيعه الذي كان يرعى في المكانِ تحتَ حراسةِ كلبهِ.

تقدّمَ ملكُ الأحلامِ ووزيره من الراعِي، دارا حوله دورةً أو دورتين ثمّ وقفا أمامه وأنعما النظرَ في وجهه قليلاً، وفجأةً التفتَ الملكُ إلى الوزيرِ وخاطبه سائلاً: هل عرفتَه؟

أنعمَ الوزيرُ النظرَ في وجهِ الراعي جيّداً ثمّ التفتَ إلى الملكِ وقالَ: نعم يا مولاي، هو من رعايانا، فهو يزورُ مملكتنا كثيراً.

قالَ الملكُ مؤكّداً: صدقتَ، هو كذلكَ.

قالَ الملكُ هذا ثمّ أخرجَ نايه السحريّ وراحَ يعزفُ عليه لحناً عذباً أطربَ الوزيرَ فراحَ يتمايلُ طرباً، ويحرّكُ رأسه يميناً وشمالاً منسجماً معَ اللحنِ مصدراً رنيناً عذباً من جرسِ طرطوره.

تسرّبتِ الألحانُ إلى أذنيّ الراعي فغطّت بسمةٌ عريضةٌ وجهه، ثمّ فتحَ عينيه ناظراً إلى ما حوله فشاهدَ الملكَ والوزير واقفين أمامه بثيابهما الملونة الجميلة وهي تشع بألوانها الزاهية وهما يعزفان له الألحان العذبة، فسرّ بذلك كثيراً ونظر إليهما بفرح بل حدّقَ فيهما بإعجابٍ واستغرابٍ ثمّ صاحَ فرحاً: عرفتكما، عرفتكما. ثمّ أشارَ إلى الملكِ وقالَ: أنت ملكُ الأحلامِ. وإلى الوزيرِ: وأنت وزيرُ ملكِ الأحلامِ.

وأضافَ الراعي مرحّباً: يا مرحباً بكما، قدمتما لزيارتي فأهلاً بكما، كم كنتُ في شوقٍ لرؤيتكما، وبخاصةٍ رؤيتك أيها الملكُ الجميل المعظّمُ، كنتُ أزورُ مملكتكَ كثيراً ولا أزال لأتمّتعَ بجمالها وبرؤيتك.

قالَ الوزيرُ معاتباً: وأنا ألم تكنْ في شوقٍ لرؤيتي؟

قالَ الراعي: بلى، بلى، كنتُ في شوقٍ لرؤيتكَ أيضاً، بل كنتُ في شوقٍ لرؤيةِ كلّ شيءٍ في مملكتكم الجميلةِ.

تقدّمَ الملكُ من الراعي وقالَ: وها قد جئنا لزيارتك، فأنتَ من رعايانا المخلصين، ونحنُ لا ننسى حقوق رعايانا المخلصين، فهل ترغبُ في شيءٍ نحققه لكَ مكافأةً على إخلاصكَ؟ أنا أشعرُ برغبةٍ في مكافأتكَ.

قالَ الراعي متلهفاً: وأنا أنتظرُ هذه المكافأةَ أيها الملكُ العظيمُ، أنتظرها بفارغ الصبرِ، فأنا بحاجةٍ ماسّةٍ إليها.

قالَ الملكُ: قلْ لي أيها الراعي الجميلُ ماذا تريدُ وسأحققه لك فوراً، فحالمٌ مثلك يجب تلبية رغباته من ملكٍ مثلي.

قالَ الوزير: أتريد أن نأخذك في رحلة خيالية جميلةٍ ترى فيها ما لم تره من بقاعِ مملكتنا في زيارتكَ السابقةِ؟

قالَ الراعي: لا، ليس ذاك ما أريدُه.

قالَ الملكُ: أتريدُ مني أن آخذك في زيارةٍ إلى من تحبّ؟

صاح الراعي معترضاً: ولا هذا ما أريده أيضاً.

قالَ الملكُ: أنت تريد أن نأخذك إلى مغارة الكنوز، تريد رؤية الذهب والفضة والجواهر، إنها أكوامٌ متلألئةٌ هناك، لا بأس بذلكَ، سنأخذك إلى هناك فهيّا.

قال الراعي: لا يا مولاي لا، ليس هذا ما أريده، وإن كنت أرغب بزيارتها أحياناً.

قالَ الوزيرُ محتجّاً: إذن قل لنا ما تريدُ وخلّصنا.

قالَ الراعي وهو يرفعُ عصاه ويشيرُ إليها: ما أريده يا مولاي هو أن تحوّل عصاي هذه إلى عصا سحرية بحيث تطولُ وتقصر كما أريد، وأن تمنحها قوّةً خارقةً بحيثُ أستطيعُ أن أطيحَ بأضخمِ ذئبٍ بضربةٍ واحدة منها.

توقّفَ الراعي، تنهد بعمق ثمّ أضاف: الذئاب كثيرةٌ في هذه الأنحاء، وهي تهاجم قطيعي وتقتلُ عدداً من نعاجي بين الوقت والآخر، وأنا أطلبُ ما طلبتُ لأضربها وأبعدها عن القطيع قبل وصولها إليه.

قال الوزير: أمرك محيّر أيها الراعي، تخاف أن يصيب قطيعك مكروه، وتتركه يرعى وتنام؟ لقد وجدناك نائماً حين جئنا لزيارتك.

قال الراعي: أترك القطيع في حماية كلبي، كلبي شرس وقوي.

قال الوزير: وهل تظنّ أن هذا يكفي لحماية القطيع؟

قال الراعي: سأستيقظ حين يهاجم الذئب القطيع، هجومه يحدث ضجيجاً مخيفاً.

قال الملك سائلاً: وهل تعتقد أيها الراعي أني أستطيع أن أضع في عصاك ما تريد من قوة وقدرة؟

قال الراعي بثقة: أنا متيقنٌ من ذلك يا مولاي، فأنت ملك عظيمٌ وتملكُ قوى خارقةً وما أريده منك هو هذا ولا شيء غيره.

قال الملك مخاطباً الراعي: ليكن لك ما تريد أيها الراعي الجميل. ثم تناول العصا من يده وقرّبها من فمه متمتماً بعبارات غامضة ونفخَ عليها نفخة طويلةً، ثمّ لوّح بها بحركة دائرية ذات اليمين وذات الشمال، ودفعها للأمام وللخلف، ورفعها إلى الأعلى وأنزلها إلى الأسفل متابعاً تمتمته الغامضة أثناء ذلك، ثم توقف ومدّ العصا للراعي وقال: خذها فقد أصبحتْ كما تريدُ. فتلقّفها الراعي بفرحٍ شديدٍ وقالَ: أصحيحٌ يا مولاي أصبحت كما أريد؟

قالَ الملكُ: لقد أودعتُ فيها قوّةً سحريةً خارقةً، تستطيعُ الإطاحة بقطيع كاملٍ من الذئاب بضربةٍ واحدة منها.

قالَ الوزيرُ مؤكداً: حين يقولُ مولاي قولاً فهو يعني ما يقول، ونستطيع التأكد مما قاله إذا أردت.

سُرّ الراعي كثيراً وكادَ يطيرُ من الفرحِ وقالَ: أصحيح يا مولاي أني أستطيع تجربتها بحضرتك وأمامك؟

هزّ الملكُ رأسه مؤكّداً: صحيح كل الصحة وتستطيع أن تفعل بها ما تشاءُ فهي عصاك.

نظرَ الراعي حوله باحثاً عن شيءٍ يجرّبُ فيه قوى عصاه، شاهدَ مصادفة ذئباً يحاولُ التسللَ من خلف شجرةٍ قريبةٍ للانقضاض على نعجةٍ كانت ترعى وحيدةً هناك، وبسرعةٍ لوّح الراعي بعصاه ثم دفعها باتجاه الذئب كمن يطعنه بها، وبين دهشته واستغرابه شاهد الذئب يتدحرج على الأرض كمن أصابته الطعنة ثم ينهض ويجري هارباً بأقصى ما يستطيع من قوّةٍ.

التفتَ الراعي إلى الملكِ وقالَ والفرحةُ تغمره تماماً: شكري لك أيها الملك الجميل العظيم، لقد حققت لي حلم حياتي، فشكري لك ما دمت حياً، ولن أنسى معروفك أبداً.

قال الراعي هذا واحتضن عصاه فرحاً فرحة طفل صغير بلعبة جديدة، متابعاً نومه العميق تحت الشجرة التي كان مسنداً ظهره إلى جذعها وابتسامة عريضة تغطّي وجهه، فتركه ملك الأحلام ووزيره ليتابع نومه وأحلامه الوردية ومضيا يتابعان رحلتهما.

ومرت ساعة وبعض الساعة وأفاق الراعي مذعوراً، كان ثغاء خرافه ونعاجه متداخلاً مع نهيق حمار، والكلّ كانَ يجري خائفاً مرعوباً، مشتبكاً مع ذئبٍ رماديّ ضخم في صراع دموي رهيب، وفي طرف آخر كانت ثلاثة ذئاب تفتك بما تصل إليه من أفراد القطيع.

وبهدوء الواثق من نفسه وقوته نهض الراعي وأمسك بعصاه وراح يضرب بها ذات اليمين وذات الشمال ويطعن بها هنا وهناك موجهاً طعناته

من بعيدٍ إلى الذئاب التي كانت تفتك بالقطيع غير عابئة به وبعصاه البعيدةِ.

سمعَ راعٍ آخرُ كان بالجوار الأصوات المتداخلةَ العاليةَ، فحمل عصاه ونادى كلبه وجاء مسرعاً منجداً، وحين رأى ما رأى من أمر الذئاب والراعي صاح به مستغرباً متسائلاً: ماذا تفعل أيها الأحمق، الذئاب تفتك بقطيعك وأنت واقف تلوح بعصاك كالأبله.

ردّ الراعي الحالم: قال لي ملك الأحلام إني أستطيع بعصاي هذه أن أقتل الذئاب من مسافة بعيدة.

قال الراعي المنجد: وهل هذا وقت الأحلام وملك الأحلام أيها الأحمق؟

قال الراعي المنجد هذا ثم تقدم من الذئاب ممسكاً عصاه بقوة لاحقاً بكلبه الذي كان قد اشتبك مع ذئب آخر في صراع دموي آخر.

انتبه الذئب الثالث إلى تقدم الراعي فتوقف عن قتل النعاج وكشر عن أنيابه مزمجراً بقوة وقفز باتجاه الراعي ليعمل فيه أنيابه ومخالبه، ولكن الراعي كان أسرع منه إذ تلقاه بضربة هائلة من عصاه على رأسه فصدعته وألقته على الأرض جثة هامدة، وحين تقدم منه الذئب الرابع تلقى ضربة قوية على ظهره كادت تقصمه فانسحب يجر رجليه جراً وولى هارباً لا يلوي على شيء.

حين رأى الذئبان المشتبكان مع الكلبين ما جرى لرفيقيهما وشاهدا تقدم الراعي منهما انسحبا خائفين وفرّا طالبين النجاة غير عابئين بالدماء التي كانت تسيل من جراحهما.

حين ابتعدت الذئاب وانتهت المعركة، وهدأ ما تبقّى من القطيع، التفت الراعي المنجد إلى الراعي الحالم الذي كان واقفاً كتمثال ينظر ببلاهة إلى ما يجري وعصاه لا تزال بيده ينظر إليها مرة وإلى النعاج المقتولة والجريحة مرة أخرى وكأنه لا يصدق ما جرى.

قال الراعي ساخراً وهو يقترب منه: ألا زلت مع ملك الأحلام؟

قال الراعي الحالم موضحاً موقفه: لقد قال لي ملك الأحلام « عصاك هذه تطول وتقصر » وقال أيضاً إنه أودع فيها قوة سحرية خارقة، ولقد جربتها أمامه وكانت كذلك و...

قال الراعي المنجد: ليس مهماً ما حلمت به، ولا ما قاله لك ملك الأحلام، فعندما تهاجم الذئاب قطيعك لا تنقذها إلا بقوة ساعدك وبعصاك الحقيقية وليس المهم أن تطول العصا وتقصر، المهم هو أن يكون الممسك بها شجاعاً وقوياً.

الحَقِيْبَةُ الْكَنْزُ

كان ملك الأحلامِ ووزيره محلّقيْن طائرين معَ النسيمِ حين التفتَ الملكُ إلى وزيره وقالَ يخاطبه: نحنُ غائبان عن المملكةِ منذُ أيامٍ كثيرةٍ، ولا يجوزُ أن يغيبَ الملكُ عن مملكته كثيراً، لذا قررتُ العودةَ الآنَ.

ردّ الوزيرُ: اتخذتَ قراراً صائباً يا مولاي ويكفينا ما شاهدناه في رحلتنا هذه.

قالَ الملكُ: كانت رحلةً جميلةً مفيدةً، شاهدنا فيها ناساً جدداً وبلاداً جديدةً، ولولا شؤونُ الملكِ ما عدتُ سريعاً.

قالَ الوزيرُ: كلّ ما قلته وستقوله صحيحٌ يا مولاي وأنا أرى ما تراه.

وانطلقَ الملكُ يتابعُ تحليقه وخلفه وزيره وما هي إلا لحظاتٌ حتى كانا في مملكة الأحلامِ داخلَ قصرِ الملكِ الجميلِ.

مرّت أيامٌ أنجزَ خلالها الملكُ والوزيرُ ما تراكمَ من أعمالهما، ومن جديدٍ

عادَ بعدها الملكُ إلى الجلوسِ في شرفةِ قصرهِ ومراقبة الداخلين إلى مملكتهِ والخارجينَ منها، ومن جديدٍ أيضاً لاحظَ تناقصَ عددِ زوّاره يوماً بعد يوم، فشعرَ بالحزنِ لذلك وعاودته فكرة القيامِ برحلةٍ جديدةٍ، وبهدوءٍ مضى إلى غرفة الملابس فلبس ثيابه الملوّنةَ الزاهيةَ: سرواله الفضفاض المخطّطَ طولياً والملوّن بكلّ الألوانِ. وقميصه ذا الأردانِ الواسعةِ، المخططَ طولياً، الملوّنَ أيضاً. ثمّ وضع على رأسه تاجَه المرصّعَ المربّعَ، الذي تتدلّى من زواياه أجراسٌ صغيرةٌ، ودسّ نايه السحريّ في وسطه وانتعلَ حذاءه الأحمرَ المدبب، ثمّ التفّ بعباءته القوس قزحية، وتسلل خارجاً من القصرِ.

عندَ البابِ الخارجيّ لمحه الوزيرُ خارجاً فأسرعَ إليه وهو يناديه: إلى أين تذهبُ يا مولاي؟

قالَ الملكُ: سأقومُ برحلةٍ جديدةٍ، لأزورَ بلاداً جديدةً وأقابلَ ناساً جدداً. لم أعد أرى الكثيرينَ من الناسِ في مملكتي، لذا سأزورهم لأسألهم عن أحوالهم وسببِ انقطاعِ زياراتهم وبخاصةٍ الأطفال الذين أحبهم والذين لم أعد أراهم في مملكتي إلا نادراً.

قالَ: هل تسمحُ لي بمرافقتك أيها الملكُ الجميلُ؟ أنا أيضاً أحبُّ الرحلات والسفرَ وزيارة البلدان ومشاهدةَ ناسها.

قالَ الملكُ: لا، لن تسافرَ معي هذه المرّة، سأقومُ بالرحلةِ وحدي هذه المرة، ستبقى أنت في القصرِ لترعى شؤون المملكةِ، هذه هي رغبتي.

قالَ الوزيرُ: رغباتك أوامرُ علينا طاعتها وتنفيذها، فسافرْ على بركـةِ الله يا مولاي.

قالَ الملـكُ: كـنْ مستعدّاً دائمـاً، فربمـا استدعيتك أو استدعيتُ بعضَ جنودي عند الحاجةِ.

ردّ الوزيرُ: الكلّ مستعدٌ دائمـاً يـا مـولاي، ونحـن جميعـاً بانتظـارِ إشـارةٍ منك لنفعلَ ما تريدُ.

وهكذا انطلقَ الملكُ في رحلةٍ جديدة.

سارَ الملكُ في بلادِ الناسِ طويلاً، مسافاتٍ طويلةً قطعها في تجواله، شـاهدَ قرىً ومدناً كثيرة، وفي أول مدينة توقـف فيهـا استغرب مـا شـاهده، وجـد الناس يروحون ويجيئون مسرعينَ، الهمـومُ أثقلـت ظهورهـم، والحـزن يغطـي وجوههم، حتى الأطفالُ كانوا مطرقين يـترنحون في سيرهم والنـومُ لا يـزال ممسكاً بأجفانهم.

في شارعٍ جانبي ضيق شاهد طفلاً يحمـل حقيبـة كبـيرة ويسـير بخطـوات ثقيلةٍ، اقتربَ ملكُ الأحلامِ منه، تراءى له بكاملِ هيئته. ارتبكَ الطفـلُ حـين رآه فسألَ خائفاً: من أنتَ؟ ماذا تريدُ مني؟

قال ملك الأحلام: لا تخف يا صغيري، أنـا حبيـب الأطفـال، أنـا ملـك الأحلام، ألا تعرفني؟

رد الطفـل بعدما تمالك هدوءه: آه، تذكرت، حدثتني جدتي عنك مرةً.

سأل الملكُ: وأنت ألا تعرفني؟ ألم تزر مملكتي؟

قال الطفل: أحياناً أحاولُ، ولكنني لا أجد الوقت لذلك.

سأل الملك: وبماذا أنت مشغول أيها الصغير؟

تنهد الطفل الذي كان يغالب نعاسه وتعبه وقال: انظر أيها الملك إلى الكتب التي تملأ حقيبتي، يجب عليّ حفظ ما فيها وتذكّره حين الامتحان، والتلفزيون بعروضه الملوّنة الجميلة يدعوني إلى مشاهدته أيضاً، وفوق هذا وذاك أنا أعمل ايضاً، أساعد والدي في عمله، والدي يعمل بائعاً متجولاً وأنا أساعده بعد انتهاء دوام المدرسة. وهذا كله يتطلّبُ وقتاً كثيراً، فكيف أستطيع زيارة مملكتك وأنا حائر بين ما ذكرتُ لك؟

بانَ الكدرُ على وجهِ ملكِ الأحلامِ، كلماتُ الطفلِ نبهته إلى حقيقةٍ لم يكن يعرفها، ليس لدى الأطفالِ وقتٌ للأحلام، هكذا فهموا من ضياعهم بين التلفزيون والواجبات المدرسية والعمل أيضاً، وتساءلَ في سرّه: « هل يجوزُ أن يعملَ الأطفالُ؟ ومَن أفهمهم أن الأحلامَ تحتاج إلى وقتٍ يقتطع من العمل؟ »

تذكر الملك ذلك وقال: ولكن زيارة مملكتي لا تحتاجُ إلى وقتٍ، فقط أغمض عينيك عندما تريدُ النومَ وتعالَ إليّ أو نادني، سأنقلك على أجنحة ناعمة إلى حيثُ تشاءُ، إلى الحدائق المثمرة والمروج المزهرة، إلى الشواطئ الرملية الناعمة، والجزر البحرية المغطاة بالغابات، إلى الجبال التي تغطيها

الثلوج والوديان ذاتِ المغاور والكهوف، إلى مغاور ألف ليلة وليلة المليئة بالكنوز السحرية، أو إلى أي مكانٍ آخرَ تشاءُ.

سألَ الطفلُ متلهفاً: هل ذكرتَ المغاور والكنوزَ السحرية، حدّثني عنها أرجوك.

قالَ الملكُ: وهل تريدُ زيارةَ إحداها؟

ردّ الطفلُ: نعم، أريدُ ذلكَ وأتمّناه.

سألَ الملكُ: أتحبّ الذهبَ كثيراً؟

قالَ الطفلُ: نعم يا سيدي أحبّه كثيراً، فبه أستطيعُ شراء كل ما أراه في التلفزيون من أشياء جميلة وغالية، وأوفّر راحة لوالدي المتعب.

فتحَ الملكُ عباءتَه الملوّنة الواسعة، غطّى بها الصغير فانتقل إلى أرض الأحلام، شاهد نفسه أمام مغارة في وادٍ جبلي سحيق، باب المغارة كان مسدوداً بصخرة كبيرة، أزاحه بسهولة ودخلَ، فوجدَ ما سرّه وأطار لبّه، تلالٌ متلألئة من الجواهر الكريمة والذهب اللمّاع، ركضَ إليها، استلقى فوقها، تقلّب بينها، وبسرعةٍ راحَ يحشو جيوبه بها، وحين امتلأت جيوبه، أفرغ حقيبته من الكتب وملأها بالذهب والجوهر ثم التفت يريد الخروج والعودة بما غنِمَ.

أرادَ حملَ الحقيبة فلم يقدر، حاولَ جرّها إلى البابِ فلم تتزحزح، كانت ثقيلةً جداً، لم يكن يعرف أن الذهب ثقيلٌ جداً، لم يخفّف حمله، لم يخرج من

الحقيبة بعض ما وضعَ فيها، بل راحَ يحاولُ ويحاولُ جرّها إلى الباب جراً. هدّه التعب وسالَ منه العرقُ وهو يحاولُ، وفجأةً انقطعت يدُ الحقيبة فاندفع بقوّةِ الشدّ الكبيرة التي كان يبذلها وسقطَ على الأرضِ مرتطماً بها.

أوجعته السقطةُ وأيقظته، وجدَ نفسه في شارعه الضيّق وحقيبتُه فارغةٌ أمامه، ويدها مقطوعةٌ في يدِهِ، وكتبه متناثرة حولها، لم تكن هنالك مغارة ولا كنوز، ولا ملك الأحلام. احتارَ الطفلُ، طلبَ تفسيراً لما رأى، ثمّ تذكّر أمراً كان قد نسيه، قال: « آه، تذكرتُ كنتُ مع ملك الأحلام » ثم ابتسم ابتسامة خفيفة وأضاف: « كان حلماً جميلاً ».

لملمَ الطفلُ كتبه، وضعها في حقيبته، حملها تحت إبطه وسار إلى مدرسته مسرعاً، كانَ يريدُ أن يعوّضَ ما فاته من الوقتِ.

الحَرْبُ

مضى ملكُ الأحلامِ يتابعُ رحلته، سارَ على غيرِ هدى، وفجأةً وجدَ نفسه في مدينة محاطاً بالانفجارات، والرصاص ينهمر غزيراً حوله، وسمعَ أصواتَ الطائرات، ورآها وهي تزمجرُ وتلقي بقنابلها المدمّرة فوق الدور والبيوت، التي كانت تتصاعد منها ألسنة اللهب وسحب الدخان، وشاهد الناس يتراكضون خائفين مذعورين، كما رأى متاريس مقامة في الشوارع،وخلفها رجال مسلحون يردون على الرصاص بالرصاص.

داخلَ ملكَ الأحلامِ شيءٌ من الخوفِ، فأسرعَ إلى جدارٍ عالٍ متين يتقي به الرصاص المنهمر، وهناك وجد رجلاً مغطى بالدماء وبندقيته لا تزال في يده، اقترب منه بهدوء، ثم ظهر أمامه وسأله: قل لي أيها الرجل، ماذا يجري هنا؟

ردّ الرجلُ: ألا ترى ما يجري؟ إنها الحرب، ألا تسمعُ أزيز الرصاص

وزمجرة الطائرات وهدير الدبابات؟ ألا ترى الحرائق المشتعلة في كل مكان؟

سأل الملك: ولكن لماذا تجري هذه الحرب؟

ردّ الرجل بصوت بدأ يضعف: اسمعْ أيها الغريب، جيراننا الأقوياء يتسلطون علينا. نحن بلد صغير، قلنا لجيراننا لنا الحَق في الحياة مثل مالكم، فغزونا بأسلحة وأعداد لا طاقة لنا بها، ولكننا لم نستسلم، فضّلنا الدفاع عن أهلنا وأرضنا، هذه هي الحكاية باختصار شديد.

بدأت أنفاس الرجل تخبو رويداً رويداً، رقّ قلبُ ملكِ الأحلامِ له، عطفَ عليه، اقتربَ منه بهدوءٍ وسأله: أتريدُ شيئاً أيها الرجل؟ هل أستطيعُ مساعدتك؟

سأل الرجل بصعوبة: ولكن قل لي أيها الغريب من أنت؟

قال الملك: أنا ملك الأحلام، اطلب ما تريد وسأحققه لك.

ارتسمت بسمة صغيرة على شفاه الرجل، وبصعوبة بالغة قال: وهل هذا وقت الأحلام أيها الملك؟ هل هذا وقت الأحلام؟

تركه الملك وابتعد حزيناً، مضى إلى جهة أخرى من المدينة، وفي ركنٍ منعزلٍ هناك وجد جندياً شاباً مستلقياً يئنّ من الألم، والدماءُ تغطّي وجهه وصدره.

اقترب منه، ظهر أمامه وسأله: وأنت أيها الشاب، هل تدافع عن أرضك أيضاً؟

ردّ الشاب بمرارة: لا أيها الغريب، أنا أقاتل غازياً معتدياً.

سأل الملك: ولماذا تعتدي على الناس وتقتـلهم، أأنت شرير إلى هذا الحدّ؟

قال الشاب: لا لستُ شريراً، ولكن قادتنا جعلونـا كذلـك، أرسـلونا إلى هذه الأرض لنقتل ناسها ونضمها إلى بلادنا، قـالوا سـتربحون الحـرب بجولـة صغيرة، قوتكم جبارة وهم قلّة وضعفاء، ستسحقونهم سحقاً إن قـاوموكم، وحين جئنا لم يهربوا كما قيل لنا، قاومونا بشراسة، لا يموت الواحـد منهـم إلا بعد أن يقتل بعضنا.

توقف الجندي يلتقط أنفاسه، ثم أضاف: هذا حقهم في كل الأحوال.

سأل الملك: ما دمت تعرف هذا، فلماذا تقاتلهم؟

ردّ الجندي الشاب: ليست لـديّ الشـجاعة الكافيـة لرفـض الأوامـر، و لم أكن أعرف الحقيقة إلا بعدما جئتُ إلى هنا.

توقف الشاب يلتقط أنفاسه، وبصعوبة بالغـة سـأل: قـل لي أيهـا الرجـل الغريب من أنت؟

قال الملك: أنا ملك الأحلام، ألا تحب ملكَ الأحلاَم؟ ألا تراها في مخيلتك أو منامك؟

قال الجنـدي الشـاب بصعوبـة أكـثر: أنـت إذن مَـن مـلأت مخيلـة قادتنـا بأحلامك، اذهـب إليهـم، أولئـك أحبـاؤك، أصلحـك الله وإياهـم، ولكـن كخدمة أخيرة احملني إلى حيث أمي كي أودّعها.

ردّ الملك بسرعة: حبّـاً وكرامـة، حبـاً وكرامـة. وغطّى الشـاب بعباءتـه الجميلة، ارتسمت ابتسامة واسعة على وجه الفتـى قـال كلامـاً مبهمـاً، ربمـا كان يودع أمه قبل أن يلفظ أنفاسه الأخيرة.

حزن ملك الأحلام كثيراً مما سمع ورأى، ابتعد سـاهماً مفكّراً متسائلاً: « لَمَ يلومني الناس وهم يفعلون مـا يفعلـون، يثيرون الحـروب المدمـرة ويلقـون باللوم عليّ، أنا لا أحبّ الحروب والمعـارك والقتل، أنا لا أحـب غـير السـلام والمحبة والأمان ».

ابتعد الملك وهو يحـدّث نفسـه وفي طـرفٍ قصـيّ مـن المدينـة وفي حفـرة صغيرة وجد طفلاً صغيراً يبكي، وهو يرتجف من الخوف والرعب.

اقترب الملك منه ظهر أمامه ليهدّئ من روعه، وحين شاهده الطفل صاح مستجدياً مسترحماً: أرجوك أيها العمّ، لا تقتلني، لا تقتلني.

قال الملك: لا تخف أيها الصغير، أنا لا أريد إيـذاءك، ولا أحـب الإضـرار بالناس.

قال الصغير وقد هدأ روعه قليلاً: ولماذا أنت هنا أيها الغريب إذن؟

قال الملك: وهل كل الأغراب قتلة أيها الصغير المسكين؟

ردّ الطفل: لا أيهـا العـمّ، ولكننـا الآن نتعـرّض لغـزوٍ مدمّـرٍ مـن جيراننـا الأقوياء. يقتلوننا لا ندري لماذا؟ ألا ترى مـا يفعلونـه بمدينتنـا؟. قالهـا الطفـل وأشار للمدينة المحترقة، ودويّ الانفجارات فيها يصمّ الآذان.

توقف الطفل، نظر إلى زيّ محدّثه الغريب وسأله مستفسراً: قل لي أيها العمّ مَن تكون؟

قالَ الملكُ: أنا ملك الأحلام أيها الصغير، أنقل الأطفال على أجنحة وردية إلى عالم كله جمال وسلام وأمان، إلى حدائق مثمرة ومروج مزهرة، أطعمهم ما يشتهون وأعطيهم ما يريدون، في مملكتي لا خوف ولا حروب ولا حرائق ولادمار.

تنهد الطفل وقال: ما أحوجنا إلى بلدٍ كهذا أيها الملك، ما أحوجنا إلى بلدٍ كهذا.

بسط الملك عباءته الزاهية، غطّى بها الصغير ونقله إلى عالم جميل يسوده السلام والمحبة.

مَعْرَكَةٌ بَيْنَ صَغِيرَيْن

تابعَ ملكُ الأحلامِ رحلته، قطعَ مسافاتٍ طويلةً، يطير مرة ويسير أخرى، وصل إلى بلاد جديدة، وجد أمامه قصراً منيفاً تحيط به حديقة غنّاء.

دخل الحديقة وهو يقول: « أرتاح هنا قليلاً، تعبتُ في سيري وتعبتُ مما رأيتُ ».

تجوّل في الحديقة، فسُرَّ بما رأى، أشجار ذات ثمار جميلة، فسحات مزهرة من كل لون، ممرات نظيفة ظليلة، وفي الوسط حوض ذو مياه زرقاء صافية تحيط به مقاعد مريحة، وطفل وطفلة يلعبان قرب الحوض.

انتقى الملك شجرة وارفة الظل، جلس تحتها، أسند ظهره إلى جذعها وراح ينظر بفرح وسرور إلى ما حوله وإلى الطفلين وهما يلعبان فرحين.

غلبَ النومُ ملكَ الأحلامِ، فراحَ في غفوةٍ لذيذة يريح بها جسمه وفكره، بعد قليل شاهده الطفلان اللذان كانا يلعبان غير بعيد، اقتربا منه بهدوء، نظرا إليه بدهشة، متعجبين من زيّه الملوّن الغريب.

قالت الطفلة هامسة: هذا ملك الأحلام، حكت لي جدتي عنه، أنا متأكدة من ذلك.

قال الطفل: وتظلين تحلمين، ألم تكبري قليلاً، ماذا ينقصك لتحلمي باستمرار ؟

قالت بغضب: وماذا تعرف أنت عن الأحلام ؟ أنت لا تحب إلا الطعام، فدعك مني ومن أحلامي أيها البدين، إن عالم الأحلام جميل جميل، ستعرف ذلك لو زرته مرّةً؟

قال: ولماذا أزور عالم الأحلام، كل ما يمكن أن أحلم به هناك يشتريه لي والدانا هنا، نقودُ والدنا الكثيرة تجعل الأحلامَ حقيقةً !

قالت: ذاك لأن عقلك محدودٌ ومقيّدٌ بالطعام، لا تفكّر إلا بكرشك، انظر كم انتفختَ وانتفخَ كرشك!

قال: ذلك خيرٌ من أكونَ قصبةً نحيفةً مثلك.

قالت: القصبة النحيفة أفضل من برميل ثخين لا يتحرك إلا بصعوبة.

هجمَ عليها يريد ضربها وهو يقول: أتعيّرينني ببدانتي أيتها النحيفة، سأحطمك بضربة واحدة من كفّي.

هربت مولولة مستغيثة، وراحت تدور حول شجرة قريبة، وهو يدور وراءها ويصيح مهدداً متوعداً.

استيقظ ملك الأحلام على ضجيجهما، ظنّ أن حرباً جديدة قد نشبت قربه، نظر حوله خائفاً، اطمأن حين شاهد الطفلين يدوران حول شجرة أمامه، ويتحاوران بصوتٍ عالٍ.

ناداهما: تعالا أيها الصغيران، لا تتعاركا، العراكُ شيء بغيضٌ وبخاصةٍ بين الأخوة.

توقف الطفلان، خجلا مما كانا يفعلان، فالأخوة يجب ألا يتعاركوا.

نادى الملك من جديد: اقتربا أيها الصغيران الجميلان لاتخافا.

اقتربا منه بهدوء ووجل، قالت الطفلة متسائلة وهي تحدّق إليه: ألستَ ملكَ الأحلام؟

ردّ الملكُ: بلى أنا ملكُ الأحلامِ.

صاحت الطفلةُ فرحةً وهي تخاطبُ أخاها: ألم أقلْ لكَ، وصفته لي جدّتي كثيراً في حكاياتها، عرفته من زيّه الغريب الجميلِ.

سألها الملكُ: أو تحبين الأحلامَ كثيراً؟

قالت: نعم أيها الملكُ، إنها جميلة تنقلني إلى بلادٍ كلّ ما فيها جميلٌ، أشجارها، جبالها، شواطئها، أطفالها، وهناك ألعبُ مع الأطفالِ بحريةٍ مطلقةٍ في حدائقَ جميلةٍ وعلى شواطئ لا مثيلَ لها، فنحنُ في الواقعِ لا نرى الأطفالَ هنا، والدتي تقولُ: « الأطفالُ الآخرونَ أشرارٌ وقذرونَ لا تلعبوا معهم ».

قالَ الطفلُ: دعكَ من حديثها أيها الملكُ، هي صغيرةٌ لا تعرف إلا اللعبَ والأحلامَ، وأمي تريدُ لنا الخيرَ.

أطرقَ الملكُ حزيناً، تذكّرَ حزنه الذي كاد أن ينساه، طفرت من عينيه دمعتان، كفكفهما وسألَ الطفلَ: وأنتَ ألا تحبّ الأحلامَ؟

قالَ الطفلُ: مالي وللأحلام، الأحلامُ للفقراءِ، أما أنا فكلّ ما أريده يشتريه لي أبي بنقوده.

قالَ الملكُ: في الحياةِ أشياءُ لا تُشترى بالمالِ، يحسّ بها المرءُ ولا يراها، السعادة والفرح مثلاً.

قالَ الطفلُ: عندما تتحقق رغباتي أكونُ فرحاً سعيداً.

قالَ الملكُ حائراً: كيفَ أُفْهِمُ هذا أن الحياةَ ليست بيعاً وشراءً فقط؟

قالت الطفلةُ: دعكَ منه أيها الملكُ، فعقله مشغولٌ بالطعامِ، خذنا في رحلةٍ جميلةٍ، إلى عالمِ الأحلامِ الجميلِ الذي سيحبّه حين يراه.

فتحَ الملكُ عباءته، وضعَ الصغيرين في طيّةٍ من طيّات ثيابه ولفّهما بعباءته فانتقلا إلى عالم الأحلام، كان كلّ ما فيه يأخذُ الألبابَ، راحَ الصغيران يلعبان مسرورين مدهوشين. معَ الطيورِ والحيواناتِ والأطفالِ بسلامٍ ومحبّةٍ، لم ينتبها إلا وأمّهما تناديهما: تعاليا أيها الحبيبان، حانَ وقتُ الطعامِ.

أيقظهما الصوتُ من أحلامهما، نظرا حولهما فلم يريا أحداً، تطلّعا إلى جذعِ الشجرةِ حيثُ كانَ يجلسُ ملكُ الأحلامِ فلم يجداه.

تنهّد الطفلُ وصاحَ متحسراً: وهل هذا وقتُ الطعامِ يا أمي، هل هذا وقتُ الطعام؟

تَحْقِيقُ الأحْلامِ

قالَ ملكُ الأحلامِ لنفسه وهو محلّـقٌ يتـابعُ رحلتـه: « سـأزورُ الآنَ بـلاداً أهلها بسطاء فقراء، سيرحبون بي هنـاك، لأنهـم يحبـون الأحـلام فهـم زوّارُ مملكتي الدائمون، وهم لا يطلبون الكثيرَ، ولا يطمعون بالكنوزِ والقلاعِ، بـل لا يحلمونَ بها إلاّ ما ندرَ ».

التفّ ملكُ الأحلامِ بعباءته، تفقّد نايه السحريّ وهو ماضٍ تحمله أجنحـةٌ ورديّةٌ ناعمة، وصلَ إلى بلادٍ بعيدةٍ، تتناثر في أرجائهـا قـرىً ومـدن صغـيرة بسيطة، ساحاتها علـى الأعـم الأغلـب ترابيـة، لم يكـن فيهـا إلا القليـلُ مـن العمائر العالية والمنشآت الكبيرة.

اقتربَ من أطفالٍ يلعبون في ساحةٍ ترابية، كانوا يتقاذفون كـرةً عتيقـةً مرقّعـةً يجرون خلفها شبه حفاةٍ، يتخاطفونها وهم يصرخون بفرحٍ وسرورٍ.

وقفَ ملكُ الأحلامِ غيرَ بعيدٍ عنهم حين جلسوا للاستراحةِ، أخـرجَ نايـه

السحريّ وعزفَ لهم لحناً جميلاً، تسلّل اللحـنُ إلى مسـامعِ الأطفـالِ فراحـوا يتطلعون حولهم باحثينَ عن مصدره.

زحفوا مقتربين منه حين شاهدوه، التفوا حوله صامتين، راغبـين بسـماع المزيد من الألحان العذبة.

عزف لهم الملك ألحاناً أفرحتهم وأدخلـت السـرور إلى قلوبهـم الصغـيرة، وحين توقف ليرتاح صاحوا يطلبون المزيد.

قال: دعوني أرتاح قليلاً، وسأعزف لكم كلّ ما ترغبون بسماعه.

انتبه بعضهم إلى زيّه الغريب، التاج المربّع ذي الأجراس الصغيرة، والثياب الفضفاضة الملوّنة بكل لون والعباءة القوس قزحيـة الواسـعة، تفـرّس بعضهـم بوجهه الصبوح المشرق ولحيته البيضاء الطويلة التي كـان النسـيم يعبـث بهـا كلما هبّ بنعومة وهدوء بين الوقت والآخر.

سأله أحدهم: قل لنا أيها العم، من تكون ومن أين جئت؟

ابتسم الملكُ وقالَ: كل من يرانـي يسـألني هـذا السـؤالَ. أنـا يـا أعزائـي الصغار ملكُ الأحلامِ، جئتُ من مملكتي، مملكةِ أرض الأحلامِ.

صاحَ الأطفـالُ فرحين مستبشـرين، قـد سمعنـا عنـك مـن الكبـار كثـيراً، حكوا لنا عنك حكايات سحرية جميلة، نرجـوك انقلنـا إلى مملكتـك، نمـرح ونلعب في جنباتها بفرحٍ وأمانٍ.

قَالَ الملكُ سائلاً: وإلى أيّ قسمٍ منها تريدونَ أن أنقلكم؟ أي بماذا تريدون أن تحلموا؟

قال الأول: أنا أريدُ ملعباً تحيطُ به الأشجارُ ألعبُ فيه صبحَ مساء.

وقال الثاني: وأنا أريدُ بيتاً جميلاً ينفتحُ على شَارعٍ جميل مظلل بفيء الأشجار العالية، والطيور تغرّد على أغصانها بأمانٍ واطمئنانٍ.

وقال الثالث: أما أنا فأريدُ مدرسةً جميلةً تحيط بها حديقة غنّاء وممرات مرصوفة وقربها ساحة لعبٍ واسعةٌ.

وأكملَ الرابع حديثَ الثالث: ويجب أن تكون في المدرسة مكتبة عامرة ذات مقاعد مريحة نجلس عليها بأمانٍ وننهل من الكتب ما نريدُ من علومٍ وآداب.

وأضافَ الخامسُ: أما أنا فخذني حين الاستراحةِ إلى مطعمٍ نظيف، فيه طعامٌ لذيذٌ وبخاصة اللحوم، أريدُ لحوماً مشويّةً من كلّ نوعٍ.

وصاحَ السادسُ: وأنا أريدُ ثياباً جديدةً زاهيةً ألبسها في العيدِ القادمِ، خذني إلى حيث محلاّت الألبسة أنتقي منها لي ولأهلي ما يسرّهم ويسرّني.

وقالَ السابعُ: وأما أنا فأريدُ منك أن تنقلني إلى أرضٍ فيها علماء، أتعلم منهم كيف أعالجُ المرضى. توقف الطفل قليلاً ثمّ أضافَ هامساً: أبي مريضٌ ولا أجدُ من يعالجه.

وقالَ الثامنُ: وأنا أريدُ قطيعاً كبيراً مــن الأغنــامِ يرعــى في مــرجٍ أخضــرَ، وسأهديه لأبي الذي يتعبُ كثيراً من أجلنا.

وقالَ التاسعُ: أما أنا فأريدُ مزرعةً كلّ مواسمها وفيرةٌ جيـدةٌ، أبـي يرغـبُ بذلك ويتعبُ من أجله، أريدُ أن أحققَ رغبته.

وقالَ العاشرُ ومَنْ بعدَه كلاماً يشبه ما قيلَ من رغباتٍ وأمنيـاتٍ يريـدون تحقيقها.

رفعَ ملكُ الأحلامِ يده طالباً منهم السكوتَ ثم قالَ: لا بدّ أن تعملوا لتحققوا أمنياتكم وأحلامكم، سأنقلكم إلى أرضِ الأحلامِ لـترَوا مـا تحلمـون بـه، لعلّكـم تحققونه فيما بعدُ. هيّا التفّوا حولي وادخلوا بين طيات ثيابي.

التفّ الأطفـالُ حولَ الملكِ بسرورٍ، تسلّقوه كما يتسلقون شجرةً مثمرةً، وما هي إلا لحظات حتى كانوا قد اختفوا بين طيات ثيابه غير المتناهية.

فتح الملكُ عباءته الواسعةَ، غطّى بها نفسه ومن معِه وحولـه، ثـم أمسـكَ بنايه السحريّ وراحَ يعزفُ للأطفالِ أعذبَ الألحـانِ، وهـو يطـيرُ بهـم على أجنحة الأحلام الوردية إلى أرض الأحلام الجميلة، حيث شاهد كلّ منهم ما كان يرغب برؤيته.

الجَزيرةُ الخضرَاءُ

واصلَ ملكُ الأحلامِ رحلته، وصلَ إلى جزيرةٍ نائيةٍ في محيطٍ واسعٍ، أغرتـه الجزيرةُ بمنظرها الفتّان: مياهٌ زرقاء صافية تحيـطُ بسـاحلٍ رمليّ نـاعمٍ، تتلـوه أشجارٌ خضراءُ تتدلّى منها ثمارٌ من كـلّ صنـفٍ ولـونٍ، وطيـورٌ جميلـةٌ تغـرّدُ فوقها بأعذب الألحان.

سُرّ ملـكُ الأحـلامِ كثـيراً بمـا رأى، فنـزلَ إليهـا وهـو يقـولُ لنفســه: «سأرتاحُ قليلاً في هذا المكان الجميـل ». تجـوّل الملـكُ في أنحـاء الجزيـرة ثـم اختار شجرةً وارفة تخيّم فوق عينٍ صافيةٍ، جلـسَ وأسند ظهـره إلى جذعهـا وهو يقول: « هذا مكانٌ جميلٌ ومريحٌ ».

بعدَ قليـلٍ جـاء غـلام يحمـلُ سمكـةً نظيفـةً، أشـعلَ نـاراً صغـيرةً، شـوى السمكةَ، أكلَ نصفها وألقى بالباقي، وبعدما غسـلَ يديه تنـاول مـن شـجرةٍ ثمرةً دانيةً، قضمَ منهـا قضمـةً أو قضمتـين وألقـى بالبـاقي بـازدراء، ثـم عـاد

وجلس مسنداً ظهره إلى جذع الشجرة الوارفة وهو يقول: « مللتُ من هذه الجزيرة وهذه الحياة الرتيبة التي أحياها هنا! ».

-وماذا تريد أكثر من هذا أيها الغلام؟

لم يكنِ الغلامُ قد رأى ملكَ الأحلامِ الجالسَ قربه، التفتَ إلى مصدر الصوت فرآه، أدهشته ثيابه الملوّنة الغريبة وتاجه المربّع ذو الأجراس الصغيرة، فصاح متسائلاً: مَن أنتَ أيها الرجلُ الغريبُ؟

قالَ الملكُ: انظر إليّ جيداً، ألا تعرفني؟ أنت تزور مملكتي كثيراً.

حدّق الغلامُ في وجه الملكِ وزيّه الغريبِ ثم صاحَ فرحاً: عرفتك، عرفتك، أنتَ ملكُ الأحلامِ. كم أنا بشوقٍ لرؤيتك.

سألَ الملكُ: ولماذا؟

ردّ الغلامُ: لتنقلني إلى بلادٍ أخرى، لقد مللتُ هذه الجزيرةَ وحياتي الرتيبةَ هنا، حدّثتني الطيورُ المهاجرةُ عن بلادٍ جميلةٍ خلف البحار، ثلجها ناصعُ البياضِ وسهولها فسيحةٌ وجبالها عاليةٌ، أرجوك أيها الملكُ خذني إليها.

فتحَ الملكُ عباءته القوس قزحيّة، ألقاها فوقَ الغلامِ وهو يقولُ: سآخذكَ إلى حيثُ تريدُ. وما هي إلا لحظةٌ أو لحظتان حتى وجد الغلامُ نفسه وسط سهلٍ واسعٍ يغطيه ثلج ناصع، شعر بالبردِ الذي راحَ يشتدّ عليه ثم راحت أسنانه تصطك وجسمه يرتجف وهو يبحثُ بلا جدوى يميناً وشمالا عن مأوى في ذلك السهل الفسيح الذي غطّى الثلجُ كلَّ شيءٍ فيه. فجأةً رأى أمامه فتى متدثّراً

بألبسةٍ سميكةٍ يجرّ خلفه شيئاً ما، ناداه مستنجداً وهو بين الموت والحياة.

انتبهَ الفتى إليه، جاءه مستغرباً وجـودَ إنسانٍ شبهِ عارٍ في هذا الوسط الثلجيّ البارِدِ، خلعَ معطفه السميك، لفّه به وهو يقول: اتبعني أيها المسكين، ستموتُ من البردِ إن بقيتَ هكذا.

سألَ الغلامُ وهو يتبعُ الفتى: ما هذا الشيءِ الذي تجرّه خلفك؟

قالَ الفتى: صيدٌ ثمينٌ، إنها فقمةٌ.

سألَ الغلامُ مستغرباً: فقمةٌ؟ وما هي الفقمة؟

ردّ الفتى: حيوانٌ بحريّ نصطاده ونأكله.

راحَ الغلامُ وهو يدورُ حولَ الفقمةِ ويردد مندهشاً: فقمةٌ، فقمةٌ، يالها من حيوانٍ غريبٍ!!

توقف الفتى الصيّادُ، نظرَ إلى بعيدٍ، شاهدَ غيوماً داكنةً تقتربُ، التفتَ إلى الغلامِ وهو يقولُ بخوفٍ: عاصفةٌ ثلجيةٌ قادمةٌ، يجب أن نسرعَ إلى أقربِ كوخٍ.

هرولَ الفتى جارّاً صيده وخلفه الغلامُ، دخلا كوخاً ثلجياً صادفهما، وما كادا يغلقان خلفهما المدخل، حتى زمجرت العاصفةُ في الخارجِ، عصفتِ الريحُ وراحت تنشرُ الثلجَ بغزارةٍ وهي تعوي وتولول.

قالَ الفتى: لو أدركتنا لتجمدنا، كنا سنصبحُ طعاماً للدببة والذئاب الجائعةِ.

سيطرَ الخوفُ على قلبِ الغلامِ فسألَ: وهل هي كثيرةٌ هنا؟

ردّ الفتى: ما يكفي لتلتهمَ الشاردين والضائعين والمتجمدين.

قالَ الغلامُ: وما الذي يجعلكم تعيشون هنا؟ عواصف وذئاب ودببة، ولا أشجار عندكم ولا أنهارَ، لماذا لا ترحلونَ إلى بلادٍ أخرى؟

ردّ الفتى: وهل يتركُ المرءُ بلده ليصبحَ غريباً في بلادٍ أخرى أيها الغريبُ؟ هذه بلادنا ونحنُ نحبّها، فيها صعابٌ وفيها خيراتٌ كثيرةٌ أيضاً.

سألَ الغلامُ: وأيّ خيراتٍ توجدُ هنا؟ أنا لا أرى شيئاً.

ردّ الفتى: لو جئتنا في الصيفِ لرأيتَ الأزهارَ تغطّي هذا السهلَ ولرأيتَ أنهاراً كثيرةً تعبره وتحتَ أرضنا هذه خيراتٌ وثرواتٌ نستعدّ لاستخراجها، إنها أرضٌ غنيةٌ هذه التي لا تعجبك، وحتى لو كانت فقيرةً فهي بلادنا وهي الأغلى عندنا.

قالَ الغلامُ لنفسه وهو يرتجفُ: « أكادُ أموتُ من البردِ وهو يمدحُ هذه البلادَ الجرداءَ ». أطلّ برأسه إلى الخارجِ ليعرفَ ما يجري وفجأةً دهمه دبٌّ هائلُ الحجمِ مكشّرٌ عن أنيابه ومخالبه، ارتدّ خائفاً مذعوراً وهو يصيحُ: النجدةَ، النجدةَ.

هزّه ملكُ الأحلامِ برفقٍ، سأله: لماذا ترتجفُ هكذا أيها الغلامُ؟

فتحَ الغلامُ عينيه، شاهدَ نفسه في جزيرته الخضراء، تحتَ شجرته الوارفةِ،

تنهّدَ بعمق مع عودة الدفء والأمان إليه، قالَ: كانت رحلةً مرعبةً يا ملكَ الأحلامِ، كادَ دبٌّ هائلُ الحجمِ يفترسني!.

ابتسمَ ملكُ الأحلامِ ابتسامةً عريضةً، حرّكَ رأسه ذات اليمين وذات الشمال مرّات عديدةً، فأصدرت أجراسُ تاجه أنغاماً عذبةً، أعادت الطمأنينة والراحة إلى نفسِ الغلامِ.

سحبَ الغلامُ نفسه إلى جانب الملكِ، وضعَ رأسه على صدره كما يفعلُ الطفلُ معَ أبيه، شعرَ براحةٍ عميقةٍ حين مسحَ الملكُ على رأسه، وبهدوءٍ لفّه بطيّةٍ من طيّات ثيابه الفضفاضة، وماهي إلاّ ثوانٍ قليلة حتى صارَ الغلامُ في بلادٍ أخرى.

كانَ يسيرُ في أرضٍ قفراءَ، والرمالُ تحيطُ به من كلّ ناحيةٍ، شاهدَ من بعيدٍ حوضاً من مياهٍ زرقاءَ جرى إليها فلم يجدْ شيئاً، أنهكه التعبُ، ومن حيثُ لا يدري وجد نفسه في حقلٍ من الأشجارِ الباسقةِ وفتى يخاطبه قائلاً: أهلاً بكَ في حقلنا أيها الغريبُ.

سألَ الغلامُ: وما هذه الأشجارُ؟

قالَ الفتى وهو يناوله قِنواً من ثمارها: إنها أشجارُ النخيلِ، وهذه ثمارها. تناول الغلامُ القِنْوَ من يدِ الفتى، أكلَ حبّاتٍ منه فوجده لذيذاً، فراحَ يلتهمُ الباقي.

قالَ الفتى: هيّا معي إلى مضافتنا أيها الغريبُ، نحنُ نرحّبُ بالضيوفِ.

سارَ الفتى ومعه الغلامُ الذي دفعه الفضولُ للتساؤل: ما هذه الخضرةُ الرائعةُ في هذا الوسطِ الرمليّ، كدتُ أموتُ وأنا أسيرُ تحتَ أشعّة الشمسِ المحرقةِ.

قالَ الفتى: هذه واحةٌ، هكذا نسمّيها، فيها مياهٌ تكفينا وتكفي حقولنا التي رأيتها، نزرعُ فيها أشجارَ النخيلِ وبعض المزروعات الأخرى، الأرض الزراعية هنا قليلة وغالية وكذلك المياه.

وصلا إلى بيتٍ طينيّ صغيرٍ في طرفِ الحقلِ، تناولا طعاماً بسيطاً، قالَ الفتى: خارجَ الواحة ترعى أنعامنا، هيّا لنتفقدها، هي لا تبعدُ كثيراً عنا.

سارا في أرضٍ جرداءَ ثم هبطا وادياً فيه بعض الأعشاب، قطعان عديدة من الإبل والأغنام كانت ترعى في أمان واطمئنان، وما هي إلاّ ساعةٌ أو بعض ساعةٍ حتى وجدا الرعاةَ يسوقون القطعان مسرعين.

نظرَ الفتى إلى البعيدِ ثمّ قالَ: غيمٌ أسودُ وريحٌ عاصفةٌ قادمة، أغلبُ الظنّ أنها ستمطر بغزارة، هيّا لنلجأ إلى كهفٍ قريبٍ.

دخلا كهفاً وجداه أمامهما، وما هي إلا لحظاتٌ حتى عصفت الريحُ بقوّةٍ ثم هطلَ مطرٌ غزيرٌ شكّلَ سيلاً عَرِماً ملأ الواديَ أمامهما جارفاً كلّ شيء في طريقه.

سألَ الغلامُ: أيّ أمطار مرعبة هذه التي تهطلُ عندكم؟ لم أرَ لها مثيلاً في بلادي.

ردّ الفتى: نادراً ما يهطلُ المطرُ عندنا، وإذا هطلَ فإنه يكون هكذا،

يشكّلُ سيولاً تجرفُ كلّ ما تصادفه أمامها، ألم تجد الرعاة كيف أسرعوا مع قطعانهم حتى لا يدهمهم السيل.

قالَ الغلامُ: في بلادي تحدثُ موجاتُ مدٍّ عاليةٌ تسببها عواصفُ بحريةٌ شديدةٌ، إنها تضربُ الشاطئ وتغمرُ كلَّ شيء هناك.

قالَ الفتى: عندنا العواصفُ الأخطر، هي العواصف الرملية، حين تهبّ تزحف رمالها على كلّ مكانٍ.

عاد الفتى والغلامُ متجهين إلى الواحةِ، سارا متمهلين في طريقٍ رمليٍّ ناعمٍ، وفجأةً عصفتِ الريحُ حولهما، شعرَ الغلامُ برمالٍ ناعمةٍ تضربُ وجهه ويديه وتكاد تعمي عينيه، صاحَ مستنجداً: ما هذا البلاءُ، أكادُ أختنقُ؟

صاحَ الفتى قائلاً: غطّ وجهك بكوفيتك، الرمالُ ستخنقك وتعميك إن لم تفعلْ.

أنزلَ الفتى كوفيّةً وجدها على رأسه، غطّى بها وجهه وهو يتساءلُ: كيفَ تتحملون هذا البلاءَ الذي يهبّ على بلادكم، لماذا لا ترحلون عنها غير آسفين؟

ردّ الفتى مستغرباً: كيفَ نتركُ بلادنا وأرضنا ونرحلُ عنها أيها الغريبُ؟ نعم، فيها بعضُ المحنِ؟ ولكن فيها خيراتٌ أيضاً، وقبلَ هذا هي بلادنا التي نحبّ.

قالَ الغلامُ: بلادي أجملُ من هذه، وأفكّرُ في الرحيلِ عنها.

قالَ الفتى مستغرباً: لتصبحَ غريباً في بلادٍ أخرى؟ أمرك عجيبٌ أيها الغلامُ.

شعر الغلامُ بالعاصفةِ قد أبعدته عن رفيقه، ناداه فلم يسمعْ جواباً، ركضَ يميناً وشمالاً فلم يجدْ مأوىً، شعرَ بالتعبِ والعطشِ، سارَ وسارَ حتى هدّه التعبُ فوقعَ مغشياً عليه وهو بين الموتِ والحياةِ.

استيقظَ الغلامُ فوجدَ نفسه تحتَ شجرته الوارفة، أسرعَ إلى العينِ فغسلَ وجهه ويديه، ثمّ تمرّغ فيها فرحاً بالمياهِ الصافية العذبة، خرجَ منها والمياهُ تقطرُ منه ومضى إلى أهله وهو يقولُ: لا يعرفُ المرءُ قيمةَ ما يملكُ إلا حين يفقده.

الصيّادُ والكَنْزُ

طارَ ملكُ الأحلامِ مبتعداً عن الجزيرةِ الخضراء، حلّقَ معَ النسيمِ ذاهبـاً إلى بلادٍ جديدةٍ، فكما قلـتُ لكـم يـا أحبّـائي إنّ الأحـلامَ حـين تريـدُ الانتقـالَ تركبُ النسـيمَ والريـاحَ وكذلـك ملكهـا. وهـي إذا جـاءت معَ النسـيمِ تكـونُ أحلاماً لطيفةً مفرحةً، أما إذا جاءت معَ الريحِ فتكـونُ مزعجـةً، وتـزدادُ إزعاجـاً وخوفاً كلما كانت الريحُ أقوى، أما أشدّ الأحلامِ رعباً فتأتي مع العواصفِ.

عذراً يا أحبائي على هذه الإطالة، ولنعدْ إلى ملكنا الذي كـان يحلّـق مـع النسيمِ، حلّق وحلّق حتى شـاهدَ شاطئاً يلوحُ له من بعيدٍ، قالَ: سأذهبُ إلى هناك، لعلّي أجدُ أحداً من رعاياي.

قربَ الشاطئِ رأى رجلاً كهـلاً يجرّ زورقه العتيقَ إلى خـارج المـاء، حمـل منه شبكة فارغة وسلّة فيها بضع سمكاتٍ ومضى مبتعداً.

تبعه الملكُ حتى دخلَ بيته المتواضـع في جـانبٍ مـن قريـةٍ للصيّـادين، دارَ الملكُ حول بيوت القرية ثم دخل بيت الصيّاد الكهل، وجده جالسـاً مسـنداً ظهـره إلى الجـــدار، عينـاه نصــف مغمضتـان وحولـــه زوجـــه وأولاده يشـــاهدون « التلفزيون ».

جلسَ الملكُ بجانبه وهو يقولُ لنفسه: « لأمنحْ هـذا المتعبَ بعـضَ الأمـلِ والسرورِ ». شعرَ الكهلُ به، التفتَ ينظرُ إليه بزيّه الغريب متسائلاً في سـرّه: كيف دخلَ هذا الغريبُ دون استئذانٍ؟

سمعَ صوتاً يجيبه: هكـذا أنـا آتـي دونَ استئذانٍ، ألا تعـرفُ أن الملـوكَ لا يستأذنونَ أحداً؟

صاحَ الرجلُ مرحّباً به فرحاً بلقياه: يامرحباً بك، عرفتك، عرفتك، أنـت ملك الأحلامِ، فمرحباً بك مرّةً أخرى.

صمتَ الكهلُ قليلاً، أمعنَ النظرَ مشدوهاً في ثيابِ الملكِ الملوّنة وتاجـه المرصّع ذي الأجراسِ الصغيرة اللمّاعة، ثمّ قالَ: أنا في خدمتك أيها الملكُ الرائعُ.

ردّ الملـكُ: بـل أنـا في خدمتـك أيهـا الصيّـاد الصبـورُ، اطلـبْ مـا تريـده وسأحققه لك.

قالَ الكهلُ: منذُ سنينَ وسنين أحلمُ بسمكةٍ تحملُ في جوفهـا جوهـراً، أو بمصباحِ علاء الدينِ أراه معلّقاً في شبكتي، أو بكنزٍ ذهبيّ خلّفه أحدُ القراصنـة

يعلَقُ بشبكتي وأغوص لاستخراجه، ولكنّ شيئاً من هذا لم يتحقّقْ أيها الملكُ، شيئاً منه لم يتحقّق.

سألَ الملكُ: ولماذا تريدُ كلّ هذا أيها الصيّادُ الصبورُ؟

ردّ الكهلُ: طلباتُ الأولاد تزدادُ وما أصيده لا يكفي إلاّ للحاجات الضرورية، فماذا أفعلُ إنْ لم أطلبْ ذلك؟

قالَ الملكُ: ولهذا تزورُ مملكتي كثيراً، كما كنتَ في شبابك؟

قالَ الكهلُ: في شبابي كنتُ أزورُ مملكتك باحثاً عن حوريةٍ جميلةٍ وقصرٍ جميلٍ، أما الآنَ فأبحثُ عن كنزٍ وجوهرٍ لأسدَّ بهما طلباتِ الأولادِ التي لا تنتهي.

قالَ الملكُ: لا بأسَ عليكَ وكانَ اللهُ في عونكَ.

قالَ الكهلُ: وأنتَ ساعدني أيها الملكُ العظيمُ، ألم تعدْني بذلكَ؟

قالَ الملكُ: غداً حينَ تخرجُ إلى الصيدِ، اذهبْ إلى تلكَ الصخرةِ الكبيرةِ السوداءِ في عُرْضِ البحر والتي يعرفها الصيّادون جميعاً، هناكَ ألقِ شبكتكَ، سأغطسُ وأعلّقُ بطرفها صندوقاً مليئاً بالذهبِ خلّفه أحدُ القراصنةِ، هناكَ تحطّمت سفينتُه، وهناكَ سقطَ كنزه.

كادَ الصيّادُ الكهلُ يطيرُ من الفرحِ، وسألَ ليتأكدَ ممّا سمعَ: هل ستحقق لي ذلكَ غداً أيها الملكُ؟. قالها وانحنى يقبّلُ يديه شاكراً له معروفه مسبقاً.

تركه الملكُ يفعلُ ما يريدُ وهو يقولُ: سأحققه لـكَ غـداً أو بعـدَ غـدٍ أو الذي بعده، وربّما في يومٍ آخرَ.

قالَ الملكُ هذا وراحَ يهزّ رأسه بهدوءٍ تاركاً أجـراسَ تاجـه تصـدرُ رنينـاً عذباً أطربتِ الكهلَ وأدخلتِ الفرحَ إلى قلبه وجعلته يغوصُ رويداً رويـداً في الماءِ يستخرج كنزه الموعودَ ويبدأ تقليبَ ما فيه.

رحلَ الملكُ تاركاً الكهلَ، ظهـره إلى الجـدارِ، عينـاه مغمضتـان وابتسـامةٌ عريضةٌ تغطّي وجهه.

مَغَارَةُ اللصُوصِ

تركَ ملكُ الأحلامِ قريةَ الصيّادين خلفه ومضى، سارَ يمشي تارةً ويطيرُ أخرى، مضى نهارٌ كاملٌ وهو لا يزالُ سائراً على غير هدى، وحينَ حلّ المساءُ وجدَ نفسه في وادٍ جبليّ مقفرٍ باردٍ، فالجبالُ تكونُ باردةً في الليلِ.

شعرَ الملكُ بالبردِ يتسللُ إليه، بحثَ عن مغارةٍ يحتمي بها، وفجأةً اشتمَّ رائحةَ شواءٍ تفوحُ حوله، لم يصدّقْ أنفه في البدايةِ، إذْ مَن يشوي لحماً في هذا الوادي المقفرِ الباردِ؟

سارَ يبحثُ عن مصدرِ الرائحةِ فهدته إلى بابِ مغارةٍ، دخلها بهدوءٍ فوجدَ فيها خمسةَ رجالٍ حولَ نارٍ حاميةٍ يلتهمونَ جدياً أو خروفاً مشويّاً أمامهم، اقتربَ يراقبهم دونَ أن يشعروا به، لم يكنْ يريدُ أن يريهم نفسه، حتى يعرفَ سرّهم، فماذا يفعلُ هؤلاء الرجالُ في هذه المغارةِ البعيدةِ؟

قالَ كبيرُ الرجالِ: غداً سنسرقُ ثوري فلاّحٍ عجوزٍ، أنا أعرفه وأعرفُ الطريقَ إلى بيته، هو عجوزٌ هرمٌ وثوراه سمينان وغاليان.

قالَ رجلٌ منهم: غنيمتنا اليومَ كانت كبيرةً، ذهبٌ وثيابٌ كثيرةٌ، سيحزنُ صاحبُ المتْجَرِ حِينَ يكتشفُ الأمرَ.

قالَ ملكُ الأحلامِ يخاطبُ نفسه: « أنا بين لصوصٍ إذن ».

أكلَ اللصوصُ وشربوا، ضحكوا وسخروا، ثم تمددوا حول النارِ وراحوا في نومٍ عميقٍ. هزّ ملكُ الأحلامِ رأسَه وقالَ: ادخلوا مملكتي فأنا أنتظركم لأعاقبكم أيها اللصوصُ الخبثاءُ.

نادى الملكُ مستدعياً جنده، فأقبلوا إليه زرافاتٍ ووحداناً، وكما قلتُ لكم يا أحبّائي إنّ لملكِ الأحلامِ جنده أيضاً، وإلاّ فكيفَ يكونُ ملكاً؟ وجندُ ملكِ الأحلامِ يا أحبّائي متنوّعون تنوّعاً غريباً، فمنهم القصيرُ البدين، ومنهم الطويلُ النحيفُ، منهم الرفيعُ كالورقةِ، ومنهم الثخينُ كالفيلِ، ومنهم من هو بقصرِ الإصبع، ومنهم من هو بارتفاع منارةٍ، وباختصارٍ فيهم من كلّ شكلٍ ولونٍ يمكنُ أن يتخيّله خيالٌ، أما أسلحتهم فتبدأ بالعصا والسوط، وإلى ما يمكنُ تخيّله أيضاً، ومع أن أسلحتهم لا تتركُ آثاراً في الجسمِ، إلاّ أنها تحدثُ آلاماً شديدةً يعرفها كلّ من قاسى منها.

عذراً يا أحبّائي فقد أطلتُ في وصفِ جندِ ملكِ الأحلامِ، الذينَ وقفوا بانتظامٍ أمامَ ملكهم منتظرينَ أوامره.

أشارَ الملكُ إلى اللصوصِ المتمددين حولَ النارِ وقالَ: عليكم بهؤلاءِ إنهم لصوصٌ، وسيسرقون أيضاً ثوري فلاّحٍ عجوزٍ مسكين.

صاحَ الجندُ: أمرُ مولانا العظيمِ.

انحنوا أمامه باحترامٍ شديدٍ ثم تراجعوا والتفتوا إلى اللصوصِ، وبدؤوا يدورونَ حولهم مهددين متوعدين والشررُ يتطايرُ من أعينهم.

شعرَ اللصوصُ بهم، سمعوا صراخهم ورأوهم فذهلوا مما رأوا: جنود غرباء بأزياء غريبةٍ وأسلحةٍ غريبةٍ، يدورون حولهم، يزمجرون بغضبٍ، ويصرخون قائلين: الويلُ لكم أيها اللصوصُ، عقابكم سيكونُ قاسياً، سنأخذكم إلى السلطانِ وهناكَ ستسجنون وتُشنقون.

كانَ اللصوصُ واجمينَ فاغري الأفواهِ من الدهشةِ، ينظرونَ ببلاهةٍ، لا يستطيعونَ قولاً أو فعلاً، كانتِ المفاجأةُ قد أذهلتهم، ظنّوا أنفسهم سالمين غانمين، وإذا هم مُحاطون بهذا الجند المرعبِ.

دارَ الجندُ حولَ اللصوصِ وداروا، ثمّ انهالوا عليهم ضرباً بالعصيّ والأسواطِ، ثم قفز الثخانُ العِراضُ عليهم، جلسوا فوق صدورهم وأمسكوا برقابهم يضغطون عليها، يريدون خنقهم. كانَ اللصوصُ جامدينَ يتألمون ببلاهةٍ، وقد شلّتهم المفاجأة، وأخرسهم الخوفُ الشديدُ.

تقدّمَ ملكُ الأحلامِ منهم أشار لجنده بالتوقّفِ ثم أشار إلى زعيمِ اللصوصِ وقالَ: اشنقوا هذا.

أمسكَ عددٌ هائلٌ منهم بالزعيمِ، نصبوا مشنقةً بسرعةٍ خارقةٍ، علّقوا فيها حبلاً ثمّ جرّوا الزعيمَ إليها.

شعرَ زعيمُ اللصوصِ بالموتِ يتقدّمُ منه، أصابه رعبٌ شديدٌ، وراحَ يصيحُ: لا، لا، لا أريدُ الموتَ. وحين وضعوا الحبل حول رقبته، انتفضَ يريدُ تخليصَ نفسه فإذا هو في مغارته، وحوله رجاله الذين كانوا جالسين ينظرونَ إليه ببلاهةٍ، ويتحسسون أجسامهم غيرَ مصدّقين أنهم قد نجوا ممّا كانوا فيه.

قالَ زعيمُ اللصوصِ: لقد رأيتُ ما أفزعني وربّما كانَ نذيراً لنا.

قالَ لصّ منهم: وأنا رأيتُ ما أفزعني أيضاً، وأوافقك على الرأي.

قال لصّ آخرُ: أظننا جميعاً قد رأينا ما رأيتَ، كانَ شيئاً مخيفاً، ولو صدقوا وأمسكَ بنا عسكرُ السلطانِ غداً، فالويلُ لنا.

قالَ زعيمُ اللصوصِ: سنُضرَبُ ونُسجَنُ.

قالَ لصّ ثالثٌ: وربّما حكموا علينا بالإعدامِ.

وقالَ الرابعُ: لن أسرقَ بعدَ اليومِ.

وأيّدَ الأول: نعم، وأنا لن أسرقَ بعدَ اليومِ.

قالَ زعيمُ اللصوصِ بعد تفكيرٍ طويلٍ: كلنا لن نسرقَ بَعدَ اليومِ، بل

سنعيدُ ما سرقناه إلى أهله، قبلَ أن يمسكَ بنا عسكرُ السلطانِ، حينها سيصبحُ ما رأيناه حقيقةً.

التفتَ الزعيمُ إلى رجاله وسألهم: هل توافقون على ما قلتُ؟

قالوا: نعم، نوافقك.

قالَ: إذن لنبحثْ منذُ الغدِ عن عملٍ آخرَ.

قَصْرُ المَلِكِ الأجْمَلُ

ودّ عَ ملكُ الأحلامِ جندَه، أوصاهم أن لا يعبثوا بالناسِ وأن لا يخيفوهم، وإذا ما وجدوا مسيئاً بحاجةٍ للتخويفِ أو الترهيبِ ليرتدعَ عن إساءاته، فعليهم أن يستأذنوا الملكَ شخصيّاً، ثمّ قالَ لهم: أريدُ متابعةَ الرحلةِ وحدي، لأكتشفَ أوضاعَ رعاياي ولأراهم بماذا يحلمونَ، هكذا كانَ يفعلُ الملوكُ قديماً، ومثلَهم سوفَ أفعلُ.

وهكذا مضى ملكُ الأحلامِ وحيداً منْ جديدٍ يجوبُ البلدانَ والمدنَ والقرى، يصعدُ الجبالَ، يهبطُ الوديانَ، ويقطعُ السهولَ والقفارَ، ماشياً مرّةً، وراكباً الريحَ والنسيمَ مرّاتٍ ومرّاتٍ، يتوقّفُ حيثُ يشاءُ، ويرتاحُ حيثُ يريدُ، يظهرُ لمن يريدُ ويمرّ دونَ أنْ يشعرَ به أحدٌ حيثُ يريدُ، وكانَ يرتاحُ معظمَ نهاراتِه وينطلق معظمَ لياليه، فالأحلامُ وملكُها ليستْ مثلَ الناسِ العاديينَ الذينَ يعملونَ نهاراً وينامونَ ليلاً، إنها ترتاحُ عندما يعملونَ، وتنشطُ عندما يرتاحونَ أو ينامونَ.

وصلَ ملكُنا إلى مدينةٍ صغيرةٍ، أعجبه منظرُها الوديعُ تحتَ ضوءِ القمرِ وأضواءِ شوارعِها الخافتةِ، حلّقَ فوقَها متمهلاً، دارَ حولها دورةً كاملةً، متفحّصاً الشوارعَ الهادئةَ والبيوتَ الآمنةَ التي كانَ أهلُها غارقينَ في نومٍ عميقٍ، يتجوّلونَ في مملكةِ الأحلامِ « يأكلونَ العسلَ معَ الملائكةِ » كمَا يقولونَ في الأمثالِ، وكانَ ملكُنا يعرفُ أنَّ الكثيرينَ منهم يحلمونَ بأشياءَ يحتاجونها، لذا كانَ يبحثُ أثناءَ تحليقهِ فوقَ بيوتِ المدينةِ عمّنْ سيَنْزِلُ عندَه ليريَه بعضَ الأحلامِ المفْرِحَةِ.

غيرَ بعيدٍ أمامَه، لمحَ الملكُ ضوءاً خافتاً ينبعثُ من نافذةٍ مُشرَعَةٍ، قالَ يخاطبُ نفسَه متسائلاً: « مَن هذا الذي لم يدخلْ مملكتي بعدُ وقد مَضى منَ الليلِ أكثرُه، أمتمردٌ هوَ أمْ مسهَدٌ أم مريضٌ؟ يجبُ أن أعرفَ ».

وصلَ الملكُ إلى مصدرِ الضوءِ، وجدَ داراً بسيطةً ذاتَ طابقٍ واحدٍ، في غرفةٍ فيها كانَ شابٌّ « في عزِّ شبابهِ » كما يقولونَ جالساً خلفَ طاولةٍ عليها أوراقٌ وأقلامٌ وأدواتٌ هندسيّةٌ.

دخلَ الملكُ الغرفةَ معَ النسيمِ منَ النافذةِ المفتوحةِ، دارَ حولَ الشابِ ثمّ وقفَ في طرفِ الغرفةِ يرقبُه، كانَ الشابُّ ساهماً ينظرُ في أوراقِه، ومسحةُ حزنٍ خفيفةٌ تبدو على وجهِه الجميلِ.

دخلتِ الغرفةَ فتاةٌ تحملُ صينيةً معدنيّةً عليها فنجانٌ منَ الشّاي، وضعتْه قربَه بهدوءٍ ثمّ قالتْ: أنتَ متعَبٌ يا أخي، ارتحْ قليلاً عسى أنْ يلهمَكَ اللهُ ما فيهِ الخيرُ. ثمّ خرجتْ.

رفعَ الشابُّ فنجانَ الشّاي، رشفَ منه رشفةً أو رشفتيْن، ثمّ وضعَ الفنجانَ أمامَه وأسندَ وجهَه إلى يديهِ وراحَ يفكّرُ بعمْقٍ.

بعدَ قليلٍ عادتِ الفتاةُ تسندُ عجوزاً، قالتِ العجوزُ مخاطبةً الشابَّ: قمْ يا بنيَّ وأرحْ جسدَكَ المتعَبَ، عملٌ في النهارِ وسهرٌ في الليلِ، هذا كثيرٌ عليكَ، أنا وأختُكَ خائفتانِ عليكَ، أنتَ سندُنا ووحيدُنا وأملُنا في الحياةِ، وقبلَ كلِّ هذا أنتَ فلذةُ كَبِدي وحبيبُ قلبي وقلبِ أختِكَ.

قالَ الشابُّ: سمعاً وطاعةً يا أمّي الغاليةَ، سمعاً وطاعةً، سأشربُ هذا الفنجانَ منَ الشّاي الذي أعدّته لي أختي، ثمّ ألملمُ أغراضي وأذهبُ للنومِ. اطمئنّي يا أمّي فأنتما أيضاً غاليتانِ عليَّ، اذهبي وارتاحي يا أجملَ أمٍّ في العالمِ.

فرحتِ الأمُّ والأختُ، رشفَ الشابّ من فنجانِ الشّاي رشفةً أخرى، ومن جديدٍ اسندَ رأسَه إلى يديهِ وأطرقَ يفكّرُ.

ارتاحتْ نفسُ ملكِ الأحلامِ للشابِّ، أعجبه أدبُه وجدّه واجتهادُه، أرادَ أنْ يعرفَ عنه أكثرَ ممّا سمعَه، فربّما قدّمَ له مساعدةً ما.

ومِنْ مكانِهِ في طرفِ الغرفةِ، راحَ يحرّكُ رأسَه ذاتَ اليمينِ وذاتَ الشمالِ بحركاتٍ رتيبةٍ جعلتْ أجراسَ تاجِه تصدِرُ رنيناً عذباً أطربتِ الشابَّ وبعثتِ السرورَ في نفسِه.

رفعَ الشابُّ رأسَه، بحثَ بناظريْهِ عن مصدرِ الصوتِ، فرأى غريباً في زيٍّ

غريبٍ وتاجٍ أغربَ يبتسمُ له ابتسامةً تبعثُ الأمانَ والسلامَ في النفسِ.

سألَ الشابُّ بهدوءٍ: مَنْ أنتَ أيّها الغريبُ ومِنْ أينَ جئتَ؟

قالَ الملكُ: جئتُ من مملكتي أيّها الشابُّ وأنا ملكُ الأحلامِ، أنتَ لا تزورُ مملكتي كثيراً، لذلكَ لا تعرفُني.

قالَ الشابُّ: لا وقتَ لديَّ للزياراتِ أيّها الملكُ الجميلُ، أتعبُ كثيراً لأردَّ لأمّي بعضَ مالها عليَّ، ولأكوّنَ مستقبلي أيضاً.

قالَ الملكُ: أمرانِ مشروعانِ أيّها الشابُّ، ألهذا أنتَ حزينٌ ومتعَبٌ؟

قالَ الشابُّ: أنا وأختي يتيمانِ منذُ الصّغرِ، تعبتْ أمّنا كثيراً حتى كبرنا ودرسنا، نريدُ مستقبلاً أفضلَ لنا، أمّي مرضتْ من تعبها الكثيرِ وتحتاجُ لعلاجٍ طويلٍ، ونحنُ فقراءُ ليسَ أمامنا إلاّ العملُ الكثيرُ لنحقّقَ ما نريدُ.

قالَ الملكُ وهوَ يهزُّ رأسَه إعجاباً: وهذا أيضاً أمرٌ مشروعٌ ورغبةٌ مشروعةٌ.

أضافَ الشابُّ: بالأمسِ أعلنَ ملكُ مدينتنا عن رغبتِه في بناءِ قصرٍ لا مثيلَ له، قصرٍ يكونُ الأجملَ في العالَمِ كلّه، لمْ يمتلكْ مثلَه ملِكٌ قبلَه، وخصّصَ مبلغاً كبيراً لمن يأتيه برسمٍ وتصميمٍ للقصرِ المطلوبِ.

قالَ الملكُ وهوَ لا يزالُ يهزُّ رأسَه: وهذا حقٌّ مشروعٌ له أيضاً.

أضافَ الشابّ: وأنا أرغبُ بتقديمِ ذلكَ الرسمِ والتصميمِ له والفوزِ بتلكَ المكافأةِ.

قالَ الملكُ: ورغبتُكَ هذهِ أيضاًمشروعةٌ.

قالَ الشابُّ: قلْ لي أيّها الملكُ الجميلُ ماذا أفعلُ إذا لم أسهرْ وأفكّرْ برسمِ القصرِ ما دمتُ أريدُ الفوزَ؟

توقّفَ الشابُّ، تنهّدَ بعمقٍ، ثمّ أضافَ: الحقَّ أقولُ لكَ أيّها الملكُ، أنا أحتاجُ مبلغَ المكافأةِ، ولكنْ ما أحتاجُه أكثرَ هو الشهرةُ التي ستأتيني إذا ما فزْتُ. سيفتحُ ذلكَ الفوزُ لي أوسعَ أبوابِ العملِ وبذلكَ أحقّقُ ما أريدُ.

ابتسمَ ملكُ الأحلامِ من جديدٍ، ثمّ قالَ: يبدو أنني جئتُكَ في الوقتِ المناسبِ فهيّا معي إلى حيثُ ترغبُ. قالَ الملكُ هذا ثمّ فتحَ عباءته القوسَ قزحيّةٍ، فرَدَها على أنغامِ أجراسِه، غطّى بها الشابَّ وما حولَه وبسرعةٍ كانَ الشابُّ في أرضٍ غريبةٍ، كلُّ ما فيها كانَ مبهجاً وجميلاً ومختلفاً عمّا كانَ يعرفُه، أحجارُ الطرقِ، أشكالُ الأشجارِ، ألوانُ الطيورِ، أنواعُ الحيواناتِ، ألوانُ الزهورِ والفراشاتِ، كلُّ شيءٍ كانَ جميلاً بشكلٍ لا يمكنُ وصفُه.

افتتنَ الشابُّ بكلِّ ما رآهُ من جمالٍ حولَه، ولكنّه افتتنَ أكثرَ بالقصورِ التي رآها هناكَ، كانتْ قصوراً لمْ ترَ عينا إنسانٍ أجملَ منها، كانتْ من كلِّ نوعٍ وشكلٍ، إنها قصورٌ مقببةٌ وقصورٌ دونَ قبابٍ، قصورٌ ذواتُ أعمدةٍ رخاميّةٍ بزخارفَ بديعةٍ، وقصورٌ منَ العاجِ والزمرّدِ والزجاجِ، قصورٌ ذوات أبوابٍ

ونوافذَ دائريةٍ ملوّنةٍ بكلِّ لـونٍ، وقصـورٌ ذواتُ دوْرٍ واحـدٍ أو أدوارٍ عديـدةٍ، وقصور ذوات شرفاتٍ جميلةٍ مزينةٍ بالزهورِ، قصـورٌ ترتفـعُ لّماعـةً فتّانـةً، أو تمتـدُّ واسعةً ذوات باحاتٍ جميلةٍ. كانتْ قصوراً رائعةً من كلِّ شكلٍ ونوعٍ.

أُخِذَ الشابُّ بكلِّ ما كانَ يراهُ، راحَ يدورُ بـينَ القصـورِ لا يكـادُ يفـارقُ قصراً جميلاً حتى يرى الأجملَ.

عندَ قصرٍ رائعٍ وقفَ الشـابُّ، قالَ لنفسِـه: « هـذا الأجمـلُ ». التفـتَ فـرأى ملكَ الأحلامِ قربَه، سأله الشابُّ: أليسَ هذا الأجملَ أيّها الملكُ الجميلُ؟

قالَ الملكُ: اسمعْ يا بنيّ، هـذهِ بقعـةٌ مـن مملكـتي لم يزرْهـا إنسـانٌ قبلَـكَ، اصطحبتُكَ إليها لأنّي أحببتُكَ، اخترْ قصـراً منها وارسمْه للملكِ مدينتكـم، أنـا أريدُ لكَ الفوزَ.

سألَ الشابُّ: أأختارُ هذا القصرَ أيّها الملكُ؟

ردَّ الملكُ: اخترْ ما تراهُ الأجمـلَ، وما تختارُه يجبُ أن يناسبَ بلدكم أيضاً، هذانِ الأمرانِ يجبُ أن يكونا مترافقيْن، لا تنسَ هذا وأنتَ تختارُ القصرَ الـذي تريدُ رسمَه.

كانَ الشابُّ يدورُ حولَ القصـرِ الـذي أعجبَـه، يمعـنُ النظـرَ في واجهاتِـه وزواياهُ، ويلقي نظرةً متفحصةً علـى غرفِـهِ وصـالاتِه وأدوارِهِ حـينَ انتفـضَ على صوتٍ يخاطبه قائلاً: ألَمْ تقرّرِ النومَ بعدُ يا أخي الحبيبَ؟

نظرَ الشابُّ فوجدَ نفسَه خلفَ طاولتِهِ في غرفتِـه البسـيطةِ، وأختُـه بجانبـه تخاطبُه، التفتَ إليها، قالَ لها:

- اسمعي يا أختيَ الحبيبةَ، لقدْ وجدتُ ما أريدُ، أراني ملكُ الأحلامِ قصراً لا أجملَ، اذهبي إلى أمّي لعلّها تحتاجُكِ، ودعيني لكي أعملَ الآنَ.

فَـرَدَ الشـابُّ أوراقَـه وراحَ يرسـمُ ويخطّـطُ بهمّـةٍ ونشـاطٍ، ناسـياً تعبَـه وحزنَه. أما ملكُ الأحلامِ فقدْ ابتسمَ ابتسامتَه العريضةَ وتركه غارقاً في عملِه ورحلَ متابعاً رحلتَه.

البَخِيلُ

خرجَ ملكُ الأحلامِ مِنْ بيتِ الشابِّ المجدِّ المهذّبِ، سارَ في شوارعِ البلدةِ باديَ الرّضا، يطيرُ أحياناً ويمشي أخرى، يسرعُ مرّةً ويتمهّلُ أخرى، وهو يدندنُ بأغنيّةٍ عذبةٍ.

كانَ راضياً عن نفسِه وعملِه، فقدْ ساعدَ شاباً يستحقّ المساعدةَ، وهذا عملٌ طيّبٌ يُفْرِحُ الكرامَ الطيبين. فجأةً تناهتْ إلى سمعِه همهمةٌ، توقّفَ، أصاخَ بسمعهِ فاهتدى إلى مصدرِها.

كانتْ تنبعثُ من بيتٍ قريبٍ، سارَ إليه، دارَ حولَه، ثمّ دخلَه معَ الهواءِ خفيفاً ناعماً، دونَ أنْ يشعرَ به أحدٌ في الغرفةِ الأولى من غرفِ البيتِ، شاهدَ امرأةً حزينةً تخاطبُ ابنها الشابَّ.

قالتْ: ألا زلتَ مصمماً على السفرِ يا بنيّ؟

ردَّ الشابُّ بحزنٍ أيضاً: نعمْ يا أمّي.

قالتِ الأمُّ مستعطفةً: وتتركني وحيدةً يا ولدي، وليسَ لي غيركَ بعدما سافرَ أخواك قبلك؟

قالَ الشابّ: وماذا أفعلُ يا أمّي إنْ لمْ أسافرْ، ليسَ لي عملٌ هنا، ألستُ بحاجةٍ إلى بيتٍ وأسرةٍ؟! كيفَ أحصلُ عليهما إنْ لمْ أعملْ؟

سكتَ الشابّ قليلاً، تنهّدَ ثمّ أضافَ: ما كنتُ لأتركك يا أمّي لو كانَ عملي هنا يحقّقُ لي دخلاً كافياً. قلتُ لوالدي ذلكَ، وعرضتُ عليه مشاركتي «بمحلٍّ» يفتتحهُ لي، ولكنّه رفضَ. قالَ لي: ما عندي من مالٍ لا يكفي. وأنا حزينٌ من أجلكِ يا أمّي، ولكنّي لا أجدُ حلاً آخرَ.

قالتِ الأمّ: سامحَ اللهُ والدَكَ، حدّثته مراراً وتكراراً، و لم أجنِ منه غيرَ الرفضِ. يقولُ: النقودُ هي ضمانةُ المستقبلِ. ويتهمني بقلّةِ الفهمِ. سامحه الله مرّةً أخرى. عرفَ ملكُ الأحلامِ مشكلتهما، ظهرَ لهما بهيّاً جميلاً، وابتسامةٌ عذبةٌ تغطّي وجهه الجميلَ، فَرِحَا بلقائه، رحّبا به، فابتدرهما قائلاً:

لا تسألاني مَنْ أنا، أنا أعرفكما، وأنتما تعرفاني، تزوران مملكتي كثيراً، تحلمان بدورٍ جميلةٍ، ومحلاّتٍ واسعةٍ مليئةٍ بالبضائعِ، تحصلان عليها حينَ يرضى والدُ هذا الشابّ، ويعطيكما بعضاً ممّا يملكُ. أليسَ كذلكَ؟

قالا معاً: نعمْ، نعمْ وكأنّكَ معنا.

قالَ باسماً: أنا معكما حينَها، ألستُ ملكَ الأحلامِ؟

قالا: فماذا نفعلُ؟!

قالَ: قولا لي، هلْ يملكُ والدُ هذا الشابّ الكثيرَ؟

ردّا معاً: ما يكفي لتحقيقِ رغباتِنا، نحنُ متأكّدان من ذلكَ.

قالَ الملكُ: إذن سأساعدكما ما استطعتُ. أنتما تستحقّان ذلكَ.

قالَ الملكُ هذا واختفى، مضى إلى غرفةِ الأبِ فرآه جالساً يعدُّ نقوداً ورقيّةً. انتهى الرجلُ منَ العدِّ، وضعَ النقودَ في كيسٍ كبيرٍ، ثمّ لفّها بقطعةٍ قماشيةٍ أكبر، وبعدها في كيسٍ من اللدائن أسودَ، ثمّ أودعَ الكيسَ في قعرِ صندوقٍ كبيرٍ، أغلقَ الصندوقَ بإحكامٍ، أقفلَه وتأكّدَ من إقفاله، ثمّ علّقَ المفتاحَ برقبتِه، وتمدّدَ في فراشِه وهو يقولُ: « شيءٌ جميلٌ أنْ يمتلكَ الإنسانُ نقوداً كثيرةً، منظرُها يسرُّ القلبَ، وهي ضمانة المستقبلِ، مجنونٌ مَن لا يحسبُ حسابَ المستقبلِ ».

كانَ الملكُ يرقبه دونَ أن يظهرَ له، انتظره حتى يغمضَ عينيه، ثمّ اقتربَ منه، وهمسَ في أذنه: ماذا لو أكلتِ الفئرانُ نقودَكَ؟ أسنانُ الفئرانِ حادّةٌ، وهي تأكلُ كلّ شيءٍ. الويلُ لكَ إنْ وصلتْ إلى نقودِكَ.

قفزَ الرجلُ وهو يصيحُ مذعوراً: نعمْ الويلُ لي إنْ حصلَ ذلك وألف نعم. كيفَ لمْ أفكّر بهذا؟. أسرعَ الرجلُ، استخرجَ كيسَه، وضعَه أمامَه، وجلسَ يفكّرُ.

فكّرَ الرجلُ، وفكّرَ، ثمّ صاحَ: « وجدتُها.. وجدتُها » وقامَ فأحضرَ رفشاً صغيراً وبهدوءٍ شديدٍ حفرَ حفرةً عميقةً في أرضِ الغرفةِ، وضعَ الكيسَ

فيها، وطمرَه بمخلّفات الحفْرِ، ثمّ سوّاها بأرضِ الغرفةِ. مدَّ فراشَـه فوقَهـا ثـمّ تمدّدَ وهو يقولُ: « الآنَ أنامُ مطمئنّ البالِ، الفئرانُ لن تصلَ إلى نقودي ».

وما كادَ يغمضُ عينيه مرّة أخرى حتى دنا منه ملكُ الأحـلامِ، وهمـسَ لـه: ماذا لـو اخـترقتِ الرطوبـةُ أكياسـكَ، ووصلـتْ إلى نقـودِكَ، ستفسـدها حتمـاً، وستصبحُ غيرَ ذاتِ قيمةٍ، ستخسرُ حينهَا كلّ ثروتِكَ يا مسكينُ.

قفزَ الرجلُ من فراشِه مرةً أخـرى وهـو يصيـحُ: نعـم، نعـم أنـا مسـكينٌ وأبلهُ، كيفَ لمْ أحسبْ حسـابَ الرطوبَةِ، وهي قدْ تخربُ بيتِي؟ يـا ويلـي إنْ حصلَ ذلكَ.

أسرعَ الرجـلُ، استخرجَ كيسَه، وضعَه أمامَه، وراحَ يفكّرُ مرّة أخرى. أطالَ التفكيرَ حتى اهتدى إلى حلٍّ ظنّه مناسباً، رفعَ مخدّته، وضعَ الكيـسَ تحتهـا، تمـدّدَ واضعاً رأسَه فوقَ الكيسِ وهو يقولُ: هكذا أفضلُ، هذا يطمئنني أكثرَ.

من جديدٍ دنا منه ملكُ الأحـلامِ، وهمسَ له: ماذا لو تقلّبتَ أثناءَ نومِكَ، وابتعدتَ عن مكانِ الكيسِ، ثمّ جاءَ لصّ يريدُ سرقتَك، فسيهتدي إلى مكانِ الكيسِ بسهولةٍ، سيفرحُ بغنيمتِه كثيراً، وسيمضي بها مســروراً، بينمـا أنـتَ تشخرُ في نومِكَ تحتَ تأثيرِ سلطانِ النومِ، فالنومُ سلطانٌ قويّ كما تعرفُ.

ومن جديدٍ أيضاً قفزَ الرجلُ صائحاً: صحيحٌ ما تقولُه كـلّ الصحّـةِ، قـد يحدثُ هذا، وسأفقدُ كلّ ثروتي حينها، وسأموتُ حزناً وأسفاً عليهـا، يـا لي من غبيّ أحمقَ لا يفكّرُ في نتائجِ أعمالِه.

وضعَ الرجلُ كيسَ نقودِه أمامه من جديدٍ، راحَ يتطلّعُ إليه مهموماً مفكّراً بطريقةٍ أمينةٍ للمحافظةِ عليه، تطلّعَ حولَه مستطلعاً أرجاءَ الغرفةِ، وسرعانَ ما تهللتْ أساريرُه وهو ينظرُ إلى طاقةٍ في جدارٍ جانبيّ للغرفةِ، أسرعَ إليها، رفعَ بلاطةً من أرضِها، حفرَ مكانها بهدوءٍ وإلى عمقٍ مناسبٍ، أودعَ الكيسَ هناكَ، سدّ عليه بالبلاطةِ، سوّى أرضها جيداً، ثمّ تنهّد بعمقٍ كمن أزاحَ همّاً كانَ جاثماً على صدرِه، وعادَ ليتمدّد في فراشِه وهو يقولُ: الآنَ أنامُ مطمئنّ البالِ، هنا لا فئرانَ ولا رطوبةَ ولا لصوصَ، لن يهتدي إليها هنا الجنُّ الأزرقُ.

وفي هذه المرّة أيضاً ما كادَ الرجلُ يغمضُ عينيه حتى همسَ الملكُ في أذنه: ماذا لو اهتدتْ زوجتُك إليها وهي تنظّفُ الغرفةَ وتمسحُ البلاطَ؟ ستعطي قسماً منها لابنها الذي تحبّه، هي تريدُ له داراً وزوجةً. لقد طالبتكَ بذلكَ مراراً.

هبّ الرجلُ واقفاً مذعوراً هذه المرةَ أيضاً، وراحَ يصيحُ: نعم، نعم، قد تهتدي إلى مكانِ النقودِ ستعطي ابنها كي لا يسافرَ، أعرفُ ذلكَ، هي قالتْ لي، وطالبتني به، نعم ستفعلُ ذلكَ ما استطاعتْ ولكنْ لن أسمحَ لها بذلكَ، لقدْ تعبتُ وأفنيتُ عمري كي أجمعَ ما يضمنُ لي شيبتي، وما قدْ تأتي به الأيامُ. ليسافرْ ابنها ويجمعْ ما يريدُ. هو أيضاً ابني وأريدُ له الخيرَ مثلها، ولكنّي أريدُه رجلاً قويّاً ذا خبرةٍ وتجاربَ، وهي تريدُ تأمينَ كلّ شيءٍ له بسهولةٍ.

توقّفَ الرجلُ هنيهةً ليلتقطَ أنفاسَه، ثمّ قال متسائلاً: ثمّ لماذا هو مستعجلٌ أمرَ الزواجِ، هو لمْ يتجاوزِ الخامسةَ والعشرينَ بعدُ.

قالَ الرجلُ ذلكَ وأسرعَ فاستخرجَ كيسَه، وضعه أمامَه على الفراشِ، وجلسَ يفكّرُ من جديدٍ. بعدَ تفكيرٍ طويلٍ قالَ الرجلُ: يبدو أنْ لا مكانَ لنقودي سوى المصرفِ، هناكَ لا فئرانَ ولا رطوبةَ ولا لصوصَ ولا طامعينَ.

توقّفَ قليلاً، تنهّدَ متأسّفاً ثمّ أضافَ: صحيحٌ أنّ فوائد المصرفِ قليلةٌ، ولكن لا حلَّ آخرَ أمامي. مرّة أخرى همسَ الملكُ في أذنه: فكّر جيّداً، فوائدُ المصرفِ القليلةُ لا تساوي شيئاً أمامَ ارتفاعِ الأسعارِ بعدَ سنواتٍ قليلةٍ ستصبحُ نقودُك بعشْرِ قيمتها، ستخسرُ كثيراً أيها المسكينُ.

صاحَ الرجلُ: نعم، أنا مسكينٌ وبائسٌ أيضاً. ولكن قلْ لي يا من تكون هل من حلٍّ آخرَ أمامي، دلّني، وأنا لكَ من الشاكرين.

ظهرَ له ملكُ الأحلامِ بهيّاً جميلاً، وابتسامةُ عريضةٌ مرتسمةٌ على وجهه، وقالَ: نعم هناكَ حلٌّ آخرُ. نظرَ إليه الرجلُ، سُرَّ لمرآه، وتهللتْ أساريرهُ، طربَ لرنينِ أجراسِه العذبِ، قالَ له مرحّباً: أهلاً بك وبما قلتَ أيها الملكُ الجميلُ. أنا أعرفك وأزورُ مملكتك كثيراً، أتفرّجُ هناكَ على الكنوزِ والخزائنِ المليئة بكلّ أنواعِ النقودِ والجواهرِ والذهبِ اللمّاعِ. دلّني با لله عليكَ على حلٍّ لمشكلتي، على طريقةٍ أحفظُ بها نقودي من التلفِ والضياعِ.

قالَ الملكُ: سأدلّكَ حتماً فاطمئنّ، ولكن قبلَ ذلكَ قل لي: ما رأيك لو دللتكَ على طريقةٍ تنمّي بها ثروتَك وتزيدُ بها نقودَكَ؟

قالَ الرجلُ: وهلْ هناكَ كلامٌ أجملُ من هذا الذي أسمعُه، دلّني على ما تقولُ وسأشكرُكَ ما دمتُ حيّاً.

قالَ الملكُ: غداً اذهبْ واشترِ دوراً و« محلاّتٍ ». سجّلْ كلّ ما تشتريه باسمك كي يبقى لكَ. قريباً سترتفعُ الأسعارُ وحينها سترابحُ الكثيرَ.

صاحَ الرجلُ فرحاً: يا إلهي.. كيفَ لم يخطرْ لي هذا، كيفَ؟

توقّفَ الرجلُ، ضربَ جبينَه بكفّه كمن تذكّرَ أمراً مهمّاً كانَ قد نسيَه، ثمّ قالَ متسائلاً: وماذا لو طالبني ابني بـ « محلٍّ » ليعملَ فيه؟!

قالَ له الملكُ: قلْ له حبّاً وكرامةً، لأنّ هذا أفضلُ لكَ، ستقبضُ منه نصفَ الأرباحِ، اشرطْ هذا عليهِ.

سألَ الرجلُ: وماذا لو خسرَ؟!

قالَ الملكُ: يكونُ هو الملامَ، و« ذنبه على جنبه » كما يقولونَ، ويبقى المحلّ لك، وسعره سيرتفعُ.

قالَ الرجلُ: قدْ وافقتكَ وقبلتُ ما تقولُ عن المحلّ، فماذا لو طالبني بدارٍ ليتزوّجَ فيها ويسكنَها؟

قالَ الملكُ: أعطِه ما يريدُ، سترِبحُه وتربحُ أمّه دونَ أن تخسرَ شيئاً، أليستِ الدارُ مسجّلةً باسمِك وهما لن يستطيعا التصرّفَ بها.

ابتسمَ الملكُ ابتسامةً عريضةً جميلةً، هزّ رأسَه مصدراً رنيناً عذباً، لوّحَ بعباءته القوسِ قزحيّةٍ فملأتِ المكانَ ألواناً جميلةً برّاقةً، ثمّ قالَ: صدّقني سترِبحُ الكثيرَ لو ربحتهما، إنهما أغلى مما تتصوّرُ ومفيدان أكثرَ ممّا تتصوّرُ.

ابتسمَ الرجلُ أيضاً، طابتْ نفسُه وهو يرى الألوانَ الجميلةَ، ويسمعُ

الأنغامَ العذبةَ، قالَ يخاطبُ الملكَ: أنتَ جميلٌ أيّها الملكُ، وكلامُك أجملُ، كيفَ لم أفطنْ لما قلتَه لي الآنَ؟

تذكّرَ الرجلُ زوجتَه حينَ كانتْ صبيةً، وابنه حينَ كانَ طفلاً صغيراً، وابنيْه المسافريْنِ، شعرَ بحبٍّ عميقٍ نحو الجميعِ، ترقرقتْ دمعتانِ في عينيهِ، وراحَ ينادي قائلاً: إليّ إليّ يا أحبّائي.

العَجُوزَانِ

انطلقَ ملكُ الأحلامِ يتابعُ رحلتَه، حلّقَ فوقَ المدينـةِ الـتي كـانَ فيهـا، دارَ حولَها دورةً مودّعاً، ثمّ طارَ مبتعداً.

كانَ الفجرُ قدْ أطلَّ مبشّراً بيومٍ جديدٍ، ومعَ إطلالةِ الأشعّةِ الأولى لشمسِ الصباحِ، لمـحَ ملكُنـا داراً ريفيّـةً كبـيرةً، تحيـطُ بهـا أشـجارٌ باسـقةٌ وحديقـةٌ واسعةٌ، اقتربَ منها بهدوءٍ، ممنّياً نفسَه براحةٍ عميقةٍ.

دارَ الملكُ حولَ الدارِ مستطلعاً، باحثاً عن مكان مناسبٍ ليرتاحَ فيه، كانَ البيتُ كبيراً وجميلاً ومرتّباً، ولكنّ آثارَ الإهمالِ كانَتْ واضحةً على جدرانـهِ وممرّاته وحدائقِـه، كـانتِ الأعشـابُ ناميـةً بـدون نظـامٍ ولا ترتيـبٍ في كـلّ مكان، والجدرانُ كانتْ كالحةً وسـورُ الحديقـةِ كـان شـبهَ مهـدّمٍ، اسـتغربَ ملكُ الأحلامِ هذا الإهمالَ الباديَ على هذا البيتِ الجميلِ، بحثَ بعينيه حولَـه عن السببِ، وجدَ غيرَ بعيدٍ عنه في ساحةِ الدارِ رجلاً عجـوزاً جالسـاً علـى

كرسيّ خشبيّ عتيق، ساهماً ينظرُ إلى البعيدِ، وعجوزاً مقبلةً نحوه تحملُ صينيةً صغيرةً فوقها فنجانانِ تفوحُ من بخارهما الناعمِ رائحةُ القهوةِ الشهيةُ.

جلسَ العجوزانِ متجاوريْن يشربانِ القهوةَ بهدوء، وينظرانِ إلى الطريقِ الممتدةِ أمامهما مخترقةً الجبالَ التي كانتْ قممُها تلمع زاهيةً تحتَ أشعّة شمسِ الصباحِ.

أثارَ صمتُ العجوزيْن ووحدتُهما فضولَ الملكِ، أرادَ أن يعرفَ سرّهما وسببَ وحدتِهما، والحزنِ البادي عليهما، فهما لمْ ينبسا بكلمةٍ معَ أنّهما يجلسانِ متجاوريْن كزوجٍ من الحمامِ الجميلِ.

اقتربَ منهما بهدوء، وقفَ أمامهما، وراحَ يحرّكُ رأسَه يميناً وشمالاً مصدِراً أنغاماً عذبةً من أجراسِ تاجه الصغيرةِ، أطربتِ الأنغامُ العجوزين، رفعا رأسيْهما مستطلعيْن، فرأيا الملكَ أمامهما وعباءتُه القوسُ قزحيّةٍ تشعُّ بألوانِها الزاهيةِ. عرفته المرأةُ، صاحتْ مرحّبةً: أهلاً بكَ أيها الملكُ الجميلُ، هلْ جئتَ لزيارتِنا، أهلاً بكَ مرّةً أخرى.

قالتِ المرأةُ هذا ثمّ التفتت إلى زوجِها وأضافتْ تخاطبُه: هذا ملكُ الأحلامِ، ألمْ تعرفْه؟ كمْ زرنا مملكتَه باحثينَ عن أولادِنا؟

هزَّ الرجلُ رأسَه موافقاً ثمّ قالَ يخاطبُ ملكَ الأحلامِ: إذن أنتَ هو ملكُ الأحلامِ؟ كم نحنُ في شوقٍ لرؤيتك!

اقتربَ ملكُ الأحلامِ منهما وقالَ: وها أنا قد جئتُ لزيارتكما، وأنا

حاضرُ لتلبيةِ رغباتكما. لقد أحببتكما كثيراً، وأريدُ معرفةَ سببِ الصمتِ الذي يلفّكما والحزنِ البادي عليكما.

قالَ الرجلُ: أولادُنا يا ملكَ الأحلامِ، ربيناهم صغاراً - كلّ شبرٍ بنذرٍ كما يقولون - وحينَ كبروا رحلوا وتركونا وحيديْن، نحنُ لا نريدُ منهم شيئاً، لدينا ما يكفي ويزيدُ.

توقّفَ العجوزُ، تنهّدَ بعمقٍ وأضافَ: آهٍ، كم اشتقنا لرؤيتهم؟

أضافتِ المرأةُ مشيرةً إلى أماكنَ في ساحةِ الدارِ: ها هنا حبا كبيرهم، وهاهنا خطا خطواتِه الأولى، كم فرحنا يومئذٍ، كنا شابّيْن فرحيْن بالحياةِ فزادنا فرحاً، وحينَ جاءَ ولدُنا الأوسطُ فرحنا أكثرَ، وفرحنا أيضاً حينَ جاءَ الولدُ الأصغرُ، لقد خطا خطواتِه الأولى في هذا المكانِ.

توقّفتِ المرأةُ وهي تشيرُ إلى مكانٍ قريبٍ أمامها، ثمّ تنهّدتْ بعمقٍ وأضافتْ متحسّرةً: إيه، كم كانتْ تلكَ الأيّامُ جميلةً!

قالَ الأبُ وهو يشيرُ إلى درجٍ حجريّ بسيطٍ أمامَ ساحةِ الدارِ: أترى يا ملكَ الأحلامِ هذه الدرجاتِ؟ ها هنا وقعَ الأصغرُ حينَ ركضَ لاستقبالي مرّةً، كنتُ عائداً من الحقولِ أحملُ أولى الثمارِ الناضجةِ، تدحرجَ لسرعتِه فوقعَ ووقعَ قلبي معه، نسيتُ تعبي وما أحملُ، ركضتُ إليه، حملتُه بينَ ذراعيّ، أسرعتْ أمّه إلينا متلهفةً، تفحصناه بدقّةٍ، مسحنا الغبارَ عن وجهِه، داوينا جرحاً صغيراً كانَ في جبهتِه، وسهرنا ليلتنا كلّها بجانبه، لمْ

يكنْ وضعُه خطيراً ولا جرحُه، ولكنّا كنّا خائفيْن عليهِ حريصيْن على سلامتِه.

أكملتِ الأمُّ: كنّا نفعلُ هذا معهم جميعاً،وحينَ كبروا تركونا ورحلوا، لمْ تعدِ الدارُ تعجبُهم، الدارُ التي تربّوا فيها، ولا الحقولُ التي أطعمتهُم.

قالَ الأبُ: همْ لا يعرفونَ أنّ الأرضَ بركةٌ والعملَ فيها صحّةٌ، وفوقَ هذا فهيَ معطاءٌ وخيّرةٌ. لا أدري كيفَ يفضّلون عليها تلكَ العلبَ التي يسكنونها، ليسامحْهمُ اللهُ، لو طاوعني قلبي لدعوتُ اللهَ أن يعاقبَهم.

قالتِ العجوزُ مقاطعةً: أرجوكَ، لا تغضبْ عليهم، وليسامحْهم اللهُ.

رقَّ قلبُ الملكِ لحالِ العجوزيْن، عرفَ أنّ صمتهما الظاهريَّ يخفي كلاماً كثيراً، وعرفَ أيضاً أنّ لهما ثلاثةَ أولادٍ تركوهما وهاجروا، كما عرفَ أنّ العجوزيْن يملكانِ ما يكفيهما ويزيدُ، فها هيَ حقولٌ واسعةٌ ملحقةٌ بالدارِ، وها هيَ الخرافُ تثغو في الزريبةِ، وأمامه كانَ دجاجٌ كثيرٌ ومتنوّعٌ ينبشُ الأرضَ حولهما وحولَ الدارِ باحثاً عن رزقِه، وفهمَ الملكُ أيضاً أنّهما مشتاقان لرؤيةِ أولادهما وأحفادهما، فسألهما: قولا لي أيها العجوزانِ الجميلانِ، منذُ متى لم تريَا أولادكما؟

قالا معاً: بما يكفي لنسيانِ وجوهِ أحفادِنا، لقدْ أصبحتْ زياراتُهم متباعدةً جدّاً.

سألَ الملكُ: وأينَ يسكنونَ الآنَ؟

قالَ الأبُ: الأكبرُ والأوسطُ يعيشانِ في المدينةِ الكبيرةِ خلفَ تلكَ الجبالِ التي تشرقُ الشمسُ من خلفها، أمّا الأصغرُ فيسكنُ العاصمةَ.

بهدوءٍ اختفى الملكُ من أمامهما، انتحى زاويةً جانبَ الدارِ، استدعى بعضَ جنودِه الذينَ جاؤوا سراعاً بأشكالهم المتنوّعة وأحجامهم وأطوالهم المختلفةِ، اختارَ منهم ما شاءَ، وقالَ لهم: اذهبوا إلى أولادِ هذيْن المسكينين الجالسيْن في ساحةِ الدارِ، اظهروا لهم كما تشاؤونَ، اجعلوهم يعودونَ لزيارتهما سريعاً، لقدْ نسوا والديهما ونسيانُ الوالديْنِ ذنبٌ كبيرٌ لا يجوزُ السكوتُ عنه.

وسراعاً انطلقَ جندُ الملكِ، طاروا لتنفيذِ المهمّةِ بجدٍّ ونشاطٍ، أمّا الملكُ فاختارَ شجرةً بجانبِ الدارِ، جلسَ مسنداً ظهرَه إلى جذعها وراحَ في نومٍ عميقٍ.

انتبهَ العجوزانِ إلى غيابِ الملكِ، نظرا حولَهما فلمْ يريَا أحداً، شعرا بأنّهما كانا معَ شخصٍ لا وجودَ له، تساءلا في سرّهما: « هلْ كنّا نحلمُ؟» نظرَ كلٌّ منهما إلى الآخرِ باستغرابٍ، ثمّ هزّا كتفيْهما بلا مبالاةٍ وقامَا ليتابعَا دورةَ حياتهما العاديةَ.

كانَ الملكُ متعباً فنامَ طويلاً، وحينَ أفاقَ كانتْ شمسُ صباحِ اليومِ التالي قد ارتفعتْ في كَبدِ السماءِ، نظرَ حولَه فرأى العجوزيْن واقفيْن أمامَ الدارِ ينظرانِ إلى الطريقِ البعيدِ حيثُ كانتْ ثلاثُ سيّاراتٍ مقبلةٌ نحوهما.

اقتربَ الملكُ منهما ليرقبَ المشهدَ بوضوحٍ أكثرَ، متمنّياً أن يكونَ جندُه قدْ قاموا بعملهم خيرَ قيامٍ.

وصلتِ السيّاراتُ، نـزلَ منهـا الأولادُ والأحفـادُ، أسـرعَ الأحفـادُ إلى الجدّيْنِ، ألقوا بأنفسِهم في أحضانهما وهم يتكلّمونَ ويصيحـونَ معاً، كـانوا يبدونَ كعصافيرَ جميلةٍ مزقزقةٍ وهي تعودُ إلى عشّها مساءً.

ضمَّ الجدّان الأحفادَ وراحا يقبّلان هذا ويشمّان ذاك ودموعُ الفرحِ تسيلُ على خدودهما، أمّا الأبناءُ الثلاثةُ فظلّوا واقفينَ ينظرونَ إلى ما يجري بذهولٍ، نادمينَ على نسيانِ والديهم، وحرمانهما من أحفادهما كلّ هذهِ المدّةِ.

تقـدّمَ الأبنـاءُ، عـانقوا أبويْهــما، اعتـذروا لهمـا كثيراً وحمدوا اللهَ على سلامتهما، قالوا: خفنـا عليكمـا كثيراً، حلمنـا أحلامـاً مزعجـةً عـن وضعكمـا وصحّتكما، شاهدناكما مريضين، وشاهدناكما غـاضبين، وشاهدناكما ميتين، فحزنّا لفراقكما وتألمنا لقسوتنا عليكما، فجئنا سريعاً.

وأضافوا: شعرنا بتقصيرِنا الكبيرِ، وتذكّرنا كمْ تعبتما لأجلِنـا، نرجوكمـا المعذرةَ ونطلبُ المغفرةَ.

وبهدوءٍ كانَ الجميعُ ملتفّين حولَ العجوزيْن وتعانقوا فشكّلوا حزمـةً مـن محبّةٍ وألفةٍ وسعادةٍ، نسوا مـا مضـى، كـانَ الفـرحُ والسـرورُ قـد خيّـم فـوقَ المكان كلّه.

فرحَ ملكُ الأحلامِ لما رأى، مسحَ دمعتي بهجةٍ وتـأثّرٍ سـالتا على خـدّه، تركَ الجمعَ السعيدَ ورحلَ مبتعداً.

المَرْأَةَ الحَالِمَةَ

طارَ ملكُ الأحلامِ متابعاً رحلتَه، حلّقَ عالياً حتى صارَ فوقَ الغيومِ، شعرَ بالوحدةِ والغربةِ، والوحدةُ والغربةُ قاسيتان، لذا استدعى وزيرَه الذي التحقَ بهِ سريعاً وراحَ يطيرُ إلى جانبه، فالوزراءُ في مملكةِ الأحلامِ لا يتخلّفون عن الملوكِ قليلاً أثناءَ السيرِ أو الطيران كما في مملكةِ البشرِ.

كانَ الوزيرُ يلبسُ ثياباً شبيهةً بثيابِ الملكِ، زاهيةَ الألوان، فضفاضةً ولكنّها مخططةٌ بالعرضِ لا بالطول كثيابِ الملكِ، كما أنّه لا يمتلكُ عباءةَ قوسَ قزحيّةٍ خاصّةً به، ولا يضعُ تاجاً، بلْ يعتمرُ طرطوراً ملوّناً يتدلّى من رأسِه جرسٌ صغيرٌ رنّانٌ.

طارَ الاثنان طويلاً، قطعا مسافةً طويلةً، شعرا بالتعبِ وبنداء خفيّ يدعوهما للهبوطِ، فهبطا وهما يرسمان حلقاتٍ دائريةً جميلةً حتى حطّا على الأرضِ بهدوء.

وجدا نفسيْهما قربَ بيتٍ ريفيّ متفرّدٍ بجانبِ قريةٍ تغفو على سفحٍ جبليّ، كانتْ عتمةُ المساءِ قد غطّت البيتَ والقريةَ وما حولهما، دخلا البيتَ عبر زجاجِ النافذةِ كالضّوءِ فالأحلامُ تدخلُ كما تشاءُ، وراحا ينظرانِ إلى ما حولهما بإمعان.

شاهدا على ضوءِ سراجٍ ضعيفٍ بيتاً ريفياً بسيطَ الأثاثِ، الأبُ كانَ نائماً على فراشٍ بسيطٍ والأمّ كانتْ جالسةً بجانبِ سريرٍ تهزّه برفقٍ وهي تدندنُ بأغنيّاتٍ عذبةٍ هادئةٍ وصوتٍ جميلٍ أخّاذٍ لمن بالسريرِ كي ينامَ.

وقفَ الملكُ ووزيرُه يرقبان المشهدَ بحبّ وإعجابٍ، كانَ صوتُ المرأةِ ينسابُ إلى نفسيهما بسهولةٍ كأنهما صغيران مثلُ الصغيرِ الذي في السريرِ والذي نقلته الأغنياتُ العذبةُ إلى عالمٍ كلّه سعادةٌ فنامَ هانئاً قريرَ العينِ.

حينَ اطمأنّتِ المرأةُ على طفلِها أسندتْ رأسَها إلى ذراعِ السريرِ لترتاحَ قليلاً، كانتْ متعبةً جداً ولذا فسرعانَ ما كانتْ في مملكةِ النومِ.

شعرَ الملكُ بعطفٍ شديدٍ على المرأةِ، كانَ يعرفُ أنها تعملُ في الحقلِ نهاراً وتسهرُ على ولدها ليلاً، فهي فلاّحةٌ وهذا عملُ الفلاّحاتِ، وهي لا تزالُ في مقتبلِ عمرها وبحاجةٍ إلى بعضِ الراحةِ كي تقدرَ على مواصلةِ مسيرةِ حياتها القاسيةِ، ولرغبةِ الملكِ في مساعدتها فتحَ عباءته القوسَ قزحيّةٍ فشعّتْ أنوارٌ باهرةٌ زاهيةٌ جميلةٌ ملأتِ المكانَ بهجةً وفرحاً، وراحَ الوزيرُ يحرّك رأسه حركاتٍ رتيبةً جميلةً مصدراً رنيناً عذباً من جرسِ طرطوره الصغيرِ.

شعرتِ المرأةُ بفرحٍ شديدٍ، رفعتْ رأسَها ونظرتْ إلى ما حولَها بسعادةٍ وإعجابٍ، وأمامَ ناظريها رأتْ صغيرها يخرجُ من السريرِ، يكبرُ ثمّ يصبحُ طفلاً فشابّاً وسيماً مفتولَ العضلاتِ، وصارَ يمضي معَ والديْه إلى الحقلِ يعملُ معهما نهاراً ويعودُ مساءً.

مرّتِ الأيّامُ عليها وعليه سريعةً، كانَ يزدادُ فتوّةً ورجولةً وجمالاً، وبفرحٍ وإعجابٍ راحت تسمعُ من الجارات والقريبات والمعارفِ أنّ ابنها الشابٌّ الجميلَ المهذّبَ هو مطمحُ كلّ فتياتِ القريةِ، وفتياتِ القرى المجاورةِ.

تكدّرتْ قليلاً وهي تراهُ يلبسُ الثيابَ العسكريةَ ليلتحقَ بخدمةِ الوطنِ؛ فخافتْ عليه من البعادِ والحربِ، كانت قد سمعتْ من يقولُ إنّ الحربَ لَا تبقي أحداً وتفني كلّ شيءٍ، ولكنّ والدَه، زوجها، طمأنها قائلاً: لا عليك يا امرأة هو رجلٌ وعليه تأديةُ واجبِ الوطنِ.

عادَ من خدمةِ الوطنِ وقد ازدادَ رجولةً وجمالاً، قالَ والده: ابننا صارَ شاباً، بل رجلاً وعلينا البحثُ عن عروسٍ له.

قالتْ: لن أخطبَ له إلاّ من تليقُ به جمالاً وصحّةً وأدباً وقدراً.

توقّفتِ المرأةُ قليلاً، نظرتْ إلى ملكِ الأحلامِ وَ وزيرِهِ بفرحٍ وقالتْ لهما بتوسلٍ: أليسَ حقّاً ما أطلبه، أيها الجليلان، ألا يجبُ أن تتوفرَ في زوجةِ ابني المواصفاتُ الجيدةُ التي أريدُ ؟

هزّ الملكُ رأسه موافقاً فأصدرتْ أجراس تاجه رنيناً عذباً أشعرتِ المرأةَ بمزيدٍ من الفرحِ فأضافتْ قائلةً: ابني شابٌ جميلٌ قويّ مهذّبٌ، ومن حقّه أن تكونَ عروسه كذلكَ أيضاً.

قالَ الوزيرُ مقاطعاً: ماذا لو أرادتْ أختك تزويجه ابنتها؟

تكدّرَ وجهُ المرأةِ قليلاً وهي تردّ عليه: لا، لا أريدها زوجةً لابني، ابنة أختي مهذّبة، ولكنّها ليستْ في جمالِ ابني.

سألها الملكُ: وابنةُ عمّه ألا تليقُ به أيضاً؟

بانَ المزيدُ من الهمّ على وجهِ المرأة وهي تجيبُ: أقولُ لكما الحقيقةَ، أنا لا أريدُ لابني عروساً من أقربائه، يُقالُ إن زواجَ الأقاربِ يضعفُ النسلَ، وأنا لا أريدُ أحفاداً ضعفاءَ.

قالَ الملكُ: وأينَ ستجدينَ عروساً مثلَ التي تطلبينَ، فنادراً ما توجدُ فتاةٌ تحملُ كلّ الصفاتِ التي تريدينها.

قالتِ المرأةُ: سأبحثُ عنها في كلّ مكانٍ، سأزورُ القرى قريةً قريةً، وأدخلُ البيوتَ بيتاً بيتاً حتى أجدَ الفتاةَ التي أبحثُ عنها.

قالَ الوزيرُ: وإذا لم تقبلِ الفتاةُ التي أعجبتكِ الزواجَ من ابنكِ، فماذا تفعلين؟

قالتِ المرأةُ بإعجابٍ: وهلْ توجدُ فتاةٌ لا ترضى بابني زوجاً لها، لا، لا يعقلُ ذلكَ فابني مثالُ الرجولةِ والجمالِ والتهذيبِ.

قالَ الوزيرُ: وإذا رفضَ ابنك اختيارَكِ؟

قالتِ المرأةُ: لا، لن يفعلَ ذلكَ فأنا أدرى بمصلحته، وهو يعرف ذلك.

ابتسمَ الملكُ ابتسامةً هادئةً، ونظرَ إلى الوزيرِ باستغرابٍ ثمّ التفتَ إلى المرأةِ وقالَ لها: وماذا لو كانت عروسُ ابنكِ التي تحملُ كلّ الصفاتِ المثاليةِ التي تريدينها، ماذا لو كانت معجبةً بنفسها وأرادتِ الانفصالَ عنكِ بسكنها؟

قالتِ المرأةُ وقد بانَ الهمّ على وجهها: سأبني لها غرفةً بجانبِ الدارِ فلماذا ستطلبُ الانفصالَ عنا؟

قالَ الوزيرُ: وإذا أصرّت على طلبها؟

قالتِ المرأةُ: عندها سأشدُّ شعرَها بعنفٍ وسأفهمها أن تحترمَ رغباتي ورغباتِ ابني.

قالَ الملكُ وقد بانَ الاستغرابُ عليه: وماذا لوافقَ ابنك على رأيها ووقفَ إلى جانبها؟

بانَ الحزنُ على وجهِ المرأةِ وتجمعتِ الدموعُ في مقلتيها ثمّ سالتْ على خدّيها وهي تقولُ: ربّما فعلَ ذلكَ، ربّما فعلَ ذلك.

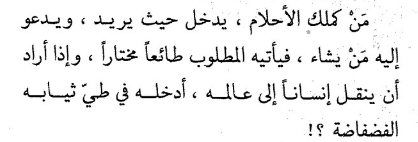
قالتِ المرأةُ هذا والدموعُ تنهمرُ من عينيها، وحين سقطتْ دمعتان على وجهِ الصغيرِ الذي في المهدِ فنبّهته من نومه الهانئ فراحَ يبكي وكأنّه يعترضُ على إيقاظه أفاقتِ المرأةُ من غفوتها على صوتِ بكاء الطفلِ، فأخذته بحضنها وراحتْ ترضعه من عصارةِ جسمها حليباً لذيذاً وتنظرُ إليه بعتبٍ ولكنْ بحنان.

نظرتِ المرأةُ حولها، لم تجدِ الألوانَ البرّاقةَ الزاهيةَ، ولا الملكَ والوزيرَ، لم يكن هنالكَ رنينُ أجراسٍ ولا تبادلُ حديثٍ، كانَ الليلُ والصمتُ يخيّمان على البيتِ الذي لم يكن يُسمَعُ فيه سوى شخيرٍ متقطّعٍ لزوجها المتعبِ الذي كانَ ينامُ غيرَ بعيدٍ، وغير صوت امتصاصِ الطفلِ للحليبِ.

THE VISION KING S TRIP

Rihlat Malik al-Ahlām

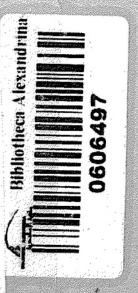
'Abdu Muhammad



مَنْ كملك الأحلام ، يدخل حيث يريد ، ويدعو إليه مَنْ يشاء ، فيأتيه المطلوب طائعاً مختاراً ، وإذا أراد أن ينقل إنساناً إلى عالمه ، أدخله في طيّ ثيابه الفضفاضة ؟!

إذا أردت أن تطّلع على قدراته الخاصة التي امتاز بها ، فاقرأ هذه الأقصوصات الشيّقة والممتعة ، لتراه كيف ساعد الشاب البَرَّ بأمّه ، واستنقذ العجوزين من أحزانهما ، ودلّ البخيلَ على رشده ، وحمل اللصوص على التوبة ، وأرشد عالم المختبر إلى أن يعمل لمصلحة البشرية ، وتعرف غير ذلك من أعماله الجليلة !

رحلة ملك الأحلام تهيئ لقرائها من مختلف الأعمار أن يشتاروا الوصف الجميل والمغزى اللطيف ، وهم يحلّقون مع ملك الأحلام تارة ، يتوغّلون معه أُخرى .. ويرون صوراً متباينة للناس والحياة .



DAR AL-FIKR
3520 Forbes Ave., #A259
Pittsburgh, PA 15213
U.S.A
Tel: (412) 441-5226
Fax: (412) 441-8198
e-mail: fikr@fikr.com
http://www.fikr.com/

ISBN 1-57547-677-0



9 781575 476773